تلخيص

المختصر الحثيث

في بيان أصول منهج السلف

أصحاب الحديث

حقوق الطبع محفوظة للجمعية

-الطبعة الأولىٰ-
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

سلسلة مقررات الدورات العلمية (٥)
الإصدار رقم (٦٩)

تلخيص
المختصر الحثيث

في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث

اختصرهُ الشيخ
لافي الشطرات

المقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله؛ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلاَ هَادِيَ لَه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار.

وبعد:

فهذا تلخيص لبعض مهمّات كتاب «المختصر الحثيث في بيانِ أُصول منهج السَّلَف أصحاب الحديث» لفضيلة الشيخ عيسىٰ مال الله فرج، لَخَّصْتُهُ لِيكون جُمَلًا تجمع مهمّات ممّا ينبغي معرفته مِن منهج السَّلف؛ لتدريسِه لطلّاب الدورة العلمية المُستمرة في جمعية مركز الإمام الألباني.

واللهُ المُوفِّق.

بيان معنى منهج السلف

◻ أوّلًا: تعريف المنهج وبيان أهميّته:

المنهج -في اللُّغة-: الطريق البيِّن الواضح؛ قال -تعالىٰ-: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨].

قال ابنُ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سبيلًا وسُنَّةً».

المنهج -في الاصطلاح-: القواعد والضوابط التي تَحكُم أيّ مُحاولة للدراسة العلميَّة؛ كقواعد اللُّغة العربيَّة، وأُصول العقيدة، والفقه، والتفسير؛ حيث تَضبِط هذه العُلوم دراسة الإسلام وأُصوله.

◻ أهميَّة المنهج:

إنّ المنهج يَحفظ للعِلم نظامَه واتِّساقَه، كما أنَّه يضبط العقل البشري، والأعمال الذهنية، بقواعد ثابتة، بحيث تُعِينُه علىٰ الوُصول إلىٰ الحقيقة فيما يَبحثُه مِن موضوعات.

إنّ شرط قيام العِلم وتقدّمه، أنْ تكون هناك طريقة صحيحة تحوي شتات الوقائع والمفردات المبعثرة هُنا وهُناك، وتربط العلاقة بينها، فتقدّم العِلم وتأخّره مُرتهن بمسألة المنهج، يدور معها وُجودًا وعدمًا.

◻ ثانيًا: تعريف السَّلَف:

السَّلَف -في الاصطلاح-: السَّلَف يُراد بهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم، وأئمّة الإسلام العدول ممّن اتّفقت الأمّة علىٰ إمامتهم وعِظم

شأنهم في الدِّين، وتلقَّىٰ المُسلمون كلامهم خَلَفًا عن سلف بالقبول، دُون مَن رُمِي ببدعة أو لقب غير مرضيّ: كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والمُرجِئة، والأشاعرة، والمُعتزلة، والجهميَّة، ونحوِهم.

وقد يُطلَق السَّلَف ويُقصد به: كل مَن التزمَ طريق القُرون الثلاثة، وسار علىٰ منهجِهم.

كما قال ﷺ: «**افترقَت اليَهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرقة؛ فواحدة في الجنّة، وسبعون في النّار. وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة؛ فإحدىٰ وسبعون في النّار وواحدة في الجنّة. والّذي نَفسُ مُحمَّدٍ بيده! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنّة، واثنتان وسبعون في النّار**».

وهذه الفِرقة الناجية ليست محصورة في زمان أو مكان معيّنَيْن.

❐ ثالثًا: نشأة مذهب السَّلَف:

لقد بدأت الحاجة إلىٰ الانتِساب للسَّلَف حين تفرَّقَت الأُمَّة الإسلاميَّة، وتعدَّدت الاتِّجاهات الفِكرية فيها حول أُصول الدين، ممّا دَعَا عُلماء الأُمَّة الأَثبات وأساطينها الأعلام لتجريد أنفسهم؛ لتلخيص وترتيب الأصول العُظمىٰ والقواعد الكُبرىٰ للاتجاه السَّلَفِي والمُعتقَد القُرآني النبوي، ومِن ثمّ نِسبته إلىٰ السَّلَف الصَّالح؛ لِقَطْعِ الباب علىٰ كُلّ مَن ابتدعَ بِدعةً اعتقاديَّةً، وأرادَ نِسبتَها إليهِم، حتّىٰ كانت النسبة إلىٰ السَّلَف رَمزًا للافتِخار، وعلامة علىٰ العدالة في الاعتقاد، ممّا يدلّك علىٰ أنّ النسبة إلىٰ السَّلَف لَم تكُن بدعة لفظيَّة، ولا مُجرَّد اصطلاح كلامي، لكنَّه حقيقة شرعيَّة ذات مدلول محدَّد.

ولذلك؛ لَم تُؤصَّل قواعدُه، ولَم تُحرَّر مَوارِدُه إلّا بقيام الحاجة في الأُمَّة لبيان

مُتكامل الصُّورة عمّا كان عليه أهل القُرون المُفضَّلة المشهود لهم بالعدالة مِن طريقة عقديَّة وسيرة توحيديَّة.

□ رابعًا: ما السَّلفيَّة؟

إنّ **السَّلَفِيَّةَ** اصطلاحٌ جامعٌ للمنهجِ الّذي اعتمدَه وسارَ عليه السَّلَفُ الصَّالح في تلقِّي الدِّين، وفَهْمه في اعتقاداتِهم، ومُعاملاتِهم، وأحكامِهم، وتربيتِهم، ودعوتِهم، وتزكيةِ نُفوسِهم، وهو للدّلالةِ علىٰ المُلتزمِين بهذا المنهج قديمًا وحديثًا.

قال الشيخ محمدُ بنُ صالح العُثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «**السَّلَفِيَّة**؛ هي: اتِّباع منهج النبيِّ ﷺ وأصحابه؛ لأنَّهُم مِن سَلَفِنا الّذِين تَقَدَّمُوا علينا، فاتِّباعهم: السَّلَفِيَّة».

□ خامسًا: مَن السَّلَفِيّ؟

إنّ **السَّلَفِيّ** «هو: كُلّ مَن كان علىٰ مَذهب السَّلَف»؛ عقيدةً، وشريعةً، وخُلُقًا، ودَعْوةً. سواءً عَلِمَ بمَدلُول هذا الاسم، أو جَهِلَهُ.

وقال سماحةُ الشَّيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إنَّ **السَّلَفَ** هُم: أهل القُرُون المُفضَّلة، فمَن اقْتَفَىٰ أَثَرَهُم، وسارَ علىٰ مَنهجِهم؛ فهُو السَّلَفِيُّ، ومَن خالَفَهُم في ذلك؛ فهُو مِن الخَلَفِ».

□ مُستلزَمات الانتِساب إلىٰ السَّلَف:

١- أنْ يتعلَّم عقيدتَهم، وأنْ يتشبَّع بها، ويكون مُلمًّا بأُصولِها في الجُملة، وأنْ يَطلُبَ العِلم الشَّرعيّ، ويَتفقَّه في الدِّين علىٰ العُلماء والمشايخ، ليدعُو الناس إليها ويذود عنها علىٰ بصيرة وهُدىٰ، وأنْ يُوجِّه أَتباعَه إلىٰ أَخْذِ العِلم الشَّرعِيّ عن المشايخ.

٢- أنْ يَظهَر أثرَها علىٰ أفكارِه وأهدافِه، وأقوالِهِ وكتاباتِه، بل وعلىٰ سُلوكِه وأعمالِهِ، بحيث يكون مُلِمًّا بتفصيلاتِها في العُمُوم (في الأصول)؛ كالإيمان، والتوحيد، والأسماء، والصِّفات، والقَدَر، وحُقوق الصّحابة، وأنْ يكونَ مُتمسِّكًا بالسُّنَن والأخلاق الفاضلة، والهَدْي النَّبويّ، وعليه سَمْت السَّلَفِ مَخْبَرًا ومَظْهَرًا.

٣- أنْ يُوالِي دَعْوتَهم، ودُعاتَهم، وأئمَّتَهُم الماضين والمُعاصِرين، ومَن سارَ علىٰ نَهْجِها مِن جماعات وأفراد؛ فهي أظهر الدعوات المعاصرة الّتي سَلَكَتْ سَبيلَ أهل السُّنَّة والجماعة، مُعتقَدًا وسُلُوكًا في العصر الحاضر؛ لذلك تنبغي موالاتها مِن قِبَلِ كُلّ مَن يَنْتَسِب لأهل السُّنَّة.

وُجوب اتِّباع منهج السَّلَف

يَجِب أنْ يُعْلَمَ أنَّ اتِّباعَ منهجِ السَّلَف الصَّالح -رضوان الله عليهِم- ليسَ للعبد فيه اختيارٌ، بل هو واجبٌ مِن الواجبات الشرعيَّة، وذلك للأدِلّة التالية:

□ أوَّلًا: الأدلّة مِن القُرآن الكريم:

قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

قال ابنُ كَثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في قولِه -تعالىٰ-: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: «هذا مُلازِم للصِّفَة الأُولىٰ، ولكِنْ قد تكون المُخالَفَة لِنَصِّ الشَّارع، وقد تكونُ لِما أَجمعَت عليه الأُمَّة المُحمَّديَّة، فيما عُلِمَ اتِّفاقُهم عليه تحقيقًا، فإنّه قد ضُمِنَت لهم العصمة في اجتماعِهم مِن الخطأ، تشريفًا لهُم، وتعظيمًا لنبيِّهم».

□ ثانيًا: الأدلّة مِن السُّنَّة:

عن أبي مُوسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ للسَّماء، فإذا ذَهَبَت النُّجوم؛ أَتَىٰ السَّماء ما تُوْعَد، وأنا أَمَنَةٌ لِأصحابِي، فإذا ذَهَبْتُ؛ أَتَىٰ أصحابِي ما يُوْعَدُون، وأصحابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فإذا ذَهَبَ أصحابِي؛ أَتَىٰ أُمَّتِي ما يُوْعَدُون**».

قال ابنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ووجه الاستدلال بالحديث؛ أنّه جَعَلَ نِسبة أصحابه إلىٰ مَن بعدهم كنِسْبَتِه إلىٰ أصحابِه وكَنِسبة النُّجوم إلىٰ السَّماء، ومِن المَعلوم أنّ هذا التَّشبيه يُعطِي مِن وُجوب اهتداء الأُمّة بِهم ما هُو نَظير اهتدائِهم بنبيِّهم ﷺ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنُّجوم.

وأيضًا؛ فإنّه جَعَلَ بَقاءَهُم بَيْنَ الأُمَّة أَمَنَةً لَهُم، وحِرْزًا مِن الشَّرِّ وأسبابِه، فلو جاز أنْ يُخطئُوا فيما أَفْتَوْا به، ويَظْفَر بِهِ مَن بعدَهُم؛ لكان الظافرون بالحقِّ أَمَنَةً للصحابةِ، وحِرْزًا لهُم، وهذا مِن المُحال».

□ ثالثًا: الأدلّة مِن أقوال السَّلَف:

* قال الإمام الأَوزاعِي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «اصبِر علىٰ السُّنَّة، وقِفْ حيثُ وَقَفَ القَوْم، وقُل بما قالُوا، وكُفّ عمّا كَفُّوا عنه، واسلُك سَبيلَ سَلَفِكَ الصَّالح؛ فإنّه يَسَعُكَ ما وَسَعَهُم».

وقال -أيضًا-: «عليك بآثارِ مَن سَلَف، وإنْ رَفَضَكَ النّاس، وإيَّاك وآراء الرِّجال، وإنْ زَخْرَفُوه لك بالقول؛ فإنّ الأمرَ يَنْجَلِي، وأنت مِنهُ علىٰ صِراطٍ مُستقيم».

* وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا عَيب علىٰ مَن أَظْهَرَ مذهب السَّلَف، وانْتَسَبَ إليه، واعْتَزَىٰ إليه، بل يجبُ قَبُول ذلك منهُ بالاتِّفاق؛ فإنَّ مَذهب السَّلَف لا يكونُ إلّا حَقًّا».

أسماء السَّلَف وألقابهم

وللسَّلَف عدّة ألقاب، لُوحِظَ في كُلِّ لَقَب صفة يتَّصِفُون بها، ومِن ذلك ما يلي:

أهل السُّنّة والجماعة

◻ إطلاقات مُصطَلح أهل السُّنَّة:

ولمُصطلح أهل السُّنَّة إطلاقان: إطلاقٌ عامّ، وإطلاقٌ خاصّ.

فالإطلاق العامّ؛ المُرادُ به: ما يكون في مُقابِل الرَّافضة؛ فيدخل في مَفهوم أَهل السُّنَّة جَميع الفِرَق المُنتسِبَة إلىٰ الإسلام -عدَا الرافضة-؛ وعليه يَصحّ تَقسيم المُسلمِين إلىٰ سُنَّة ورَافضة.

والإطلاق الخاصّ؛ والمُرادُ به: ما يكون في مُقابل أهل البِدَع والفِرَق والمَقالات المُحْدَثَة؛ كالخوارج، والرافضة، والجَهْمِيَّة، والمُعتزِلَة، والمُرْجِئة، والأشاعرة، والصُّوفيَّة، وغيرهم مِن أهل البِدَع؛ فهؤلاء لا يَدخُلُون في مَفهوم أهل السُّنَّة بالإطلاق الخاصّ.

◻ معنىٰ الجماعة:

الجماعة: ضد الفرقة.

وبهذا؛ يَظهر مَعنَىٰ السُّنّة والجماعة الّذي لا بُدَّ فيه مِن أربعة أُمور؛ وهي:

أ- الاقتداء بالرَّسُول ﷺ وصحابته الكرام.

ب- الاجتماع علىٰ الحقّ الّذي دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

ج- الالتِفاف حَول أولياء الأُمور مِن المُسلمِين.

د- السَّيْر علىٰ المنهج المُتَّبَع في العِلم، وهو دِين الله الّذي جاء به الرَّسول ﷺ، وثَبَتَ عليه أصحابُه رضي الله عنهم، والأئمَّة، والتابعون، وتابِعُوهم.

أهل الحديث

وهُم كُل مَن اتَّخذ السُّنَّة النبويَّة مَصْدَرًا للتَّلَقِّي في باب العِلم والعَمَل (إسنادًا ومَتْنًا وفِقْهًا وعَمَلًا).

قال الإمام أحمد -رحمه الله- عن الطائفة المنصورة: «إنْ لَم يَكُونوا أصحابَ الحديث؛ فلا أَدْرِي مَن هُم».

وقال عبدُ الله بنُ المُبارَك -رحمه الله- في الطائفة المنصورة: «هُم عندي أصحاب الحديث».

وقال ابنُ تيميَّة -رحمه الله-: «ونحنُ لا نَعْنِي بأهل الحديث: المقتصرين علىٰ سماعِه أو كتابتِه أو روايتِه، بل نعني بهم: كل مَن كان أحقّ بحفظه، ومعرفتِه، وفَهْمِهِ، ظاهرًا وباطنًا، واتّباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القُرآن، وأدنىٰ خصلة في هؤلاء: محبّة القرآن والحديث، والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه مِن موجبهما..».

السّواد الأعظم

والمُراد بهذا الإطلاق: أنّ رسول الله ﷺ وصحابته هُم الأكثرون الّذين تمسَّكُوا بالحقّ، المنزّل مِن عند الله، الّذين يجب اتخاذهم قُدوةً في الحقّ فيتمسَّك بما تمسَّكوا به.

قال الرسول ﷺ: «**إنّ الله -تعالىٰ- لا يَجْمَعُ أُمَّتِي علىٰ ضَلالة، ويدُ الله مع الجماعة...**».

وهُم السَّواد الأعظم عامَّة المُسلمين، الّذين لا يَنتسِبُون إلىٰ رافضة، أو أشاعرة، أو معتزلة.

الفرقة الناجية

وإنّما وُصِفَت بالنَّجاة؛ لأنّها خرجَت عن مفهوم الوَعيد في قولِه ﷺ: «**افترقَت اليَهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرقة؛ فواحدة في الجنّة، وسبعون في النّار. وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة؛ فإحدىٰ وسبعون في النّار وواحدة في الجنّة. والّذي نَفسُ مُحمَّدٍ بيده! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنّة، واثنتان وسبعون في النّار**».

إذْ سِواهَا مُستحقٌّ للوعيد، وأمّا هي فالوعيد مَنفيّ عنها مِن حيث الجُملة، وإنْ كان بعضُها قد يستحقّ وَعيدًا آخَر غير الوعيد المترتّب علىٰ الفُرقة.

الطائفة المنصورة

ووُصِفَت بالمنصورة:

أ- إمّا لأنّ اللهَ يَنصرها ويُؤيِّدها علىٰ مَن سواها ممّن تَزَعَّم البِدع والباطل والكُفر. وهي المنصورة بالسيف والسِّنان، وبالحقِّ والبيان.

ب- أو لأنّها ناصرة للحق، مُدافعة عنهُ، ومُحافِظَة له.

وكِلا المعنيَين صحيح، ولا تَنافِي بَيْنهما ولا تضادّ، ومِن هذا الوَصف؛ قولُه

ﷺ: «**إذا فَسَدَ أهلُ الشَّام؛ فلا خيرَ فيكُم، لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِي مَنصُورِين، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهُم حتّىٰ تقومَ السَّاعة**».

ومِن أَبْرَز صِفات هذه الطّائفة المنصورة:

◻ الصِّفة الأُولىٰ: الاستمراريَّة:

اعْلَم أنَّ أوَّل صِفة تتميَّز بها الطائفة المنصورة هي صفة (الاستمراريَّة)؛ أي: مُستمرَّة بوُجودها، ومُقوِّماتها، وأُصولها، ودعوتها، ومنهجها، ورجالها مِن زمن رسول الله ﷺ وإلىٰ يوم القيامة.

ودليلُه مِن السُّنَّة: قَولُه ﷺ: «**لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِي ظاهرينَ علىٰ الحَقِّ، حتّىٰ يأتِيَهم أمرُ الله وهُم ظاهرِين**».

ففي قولِه ﷺ: «**لا تَزالُ**»: دلالةٌ واضحةٌ، وبيِّنةٌ ناصِعةٌ علىٰ صِفَة (الاستِمراريَّة) للطّائفة المنصورة.

وفي قولِهِ ﷺ: «**طائفة**»: دليلٌ علىٰ وُجود الجماعة الّتي تَنصُرُ فَتُنصَر.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ-: «لكِنَّ أهلَ السُّنَّةِ يَبْقَون ويَبْقَىٰ ذِكْرُهُم، وأَهلُ البِدعةِ يَمُوتُون، ويَمُوتُ ذِكْرُهُم».

◻ الصِّفة الثّانية: الاجتماع علىٰ التَّوحيد والمنهاج، والمُفارقة عليهِما:

والمقصود يكون التّوحيد أساسًا لها، والمنهج مِحْوَرها؛ أي: لا تَقْبَل في صُفوفِها إلّا المُوحِّدِين، ولا تَبدأ دعوتها إلّا بالتَّوحيد، ولا تُرَبِّي أتباعها إلّا علىٰ الإيمانِ والتَّوحيد، ولا تَسِيرُ إلّا علىٰ منهاج عندها فيه مِن الله بُرهان، ولا بُرهان إلّا

علىٰ منهج أصحاب رسول الله ﷺ ومَن تَبِعَهُم بإحسان.

فعليهما تجتمع، وفيهما تفارق، وعليهما توالي، وفيهما تعادي.

ففي حديث مُعاذ رضي الله عنه حين أرسلَه رسولُ الله ﷺ إلىٰ اليَمَن، أرسلَه داعية ومُعلِّمًا، ورتّب له الأولويَّات، وبيّن له الطريقة المُثْلَىٰ في تجميع النّاس ودعوتهم؛ فقال له ﷺ: «**إنَّك تأتي قومًا مِن أهل الكتاب، فادْعُهُم إلىٰ شهادة أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأنِّي رسولُ الله، فإنْ هُم أَطاعُوا لذلك؛ فأَعْلِمْهُم أنّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِم خَمْس صَلوات في كُلِّ يَوْمٍ وليلة، فإنْ هُم أَطاعُوا لذلك؛ فأَعْلِمْهُم أنَّ الله افْتَرَضَ عليهم صدقةً تُؤخَذُ مِن أغنيائِهم، فتُرَدُّ في فُقرائِهم، فإنْ هُم أَطاعُوا لذلك؛ فإيَّاك وكرائِم أموالِهم، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظلُوم؛ فإنَّه ليس بَيْنَها وبَيْن الله حِجاب**».

فَجَعَلَ ﷺ الأَوْلَوِيَّة -الّتي ليس قَبْلَها ولا بَعْدَها أَوْلَوِيَّة- هي (التَّوحيد)، ثُمّ القيام بالعبادات، وهو ما يُعبَّر عنه: بتصحيح العقائد، وإصلاح العبادات.

❐ الصِّفة الثالثة: الشمولية الدعوية:

أيْ: شُمول دعوتها إلىٰ الإسلام والنّاس كافّة، فالطائفة الناجية هي الّتي تَشملُ دَعْوَتُها كُلّ عباد الله، فلا تخص طبقة دُون طبقة، ولا فِئة دُون فِئة.

هكذا كانت دعوة الرُّسُل، وهكذا كانت دعوة رسولنا ﷺ؛ تشمل الغني والفقير، والعظيم والصعلوك، والشريف والوضيع، والكبير والصغير، والبَرّ والفاجر، والحُرّ والعَبد، والبدوي والحضري، والعربي والعجمي، والرجال والنساء، والشيوخ والوِلدان.

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[سبأ:٢٨].

الغُرباء

ويُقصد به بيان أنّهم في الأزمان المُتأخِّرة يَكونون قِلَّة بَيْن الأُمَّة الإسلاميَّة مع قُوَّتهم في الحَقّ وعِزَّتِهم؛ كما كان أصحاب رسول الله ﷺ في أوّل الإسلام في قِلَّتِهم مع قُوَّتِهم في الحقِّ وكمال تَمسُّكِهم به، ويَدُلُّ علىٰ اتِّصافِهم بهذا النَّوع مِن الغربة قولُه ﷺ: «**بَدَأَ الإسلامُ غَريبًا، وسيَعُودُ غريبًا كَمَا بَدَأَ، فطُوبَىٰ للغُرَباء**».

وفي رواية: قُلنا: مَن هُم يا رسولَ الله؟ قال: «**الّذِينَ يَصلُحون حين يَفسد النّاس**»، وفي رواية: «**الّذِين يُصلِحُونَ ما أَفْسَدَ النّاس**». سواء كان هذا الفساد عَقديًّا، أو عمليًّا، أو أخلاقيًّا.

وفي رواية: «**الّذِين يُحْيُون سُنَّتِي مِن بَعْدِي، ويُعَلِّمُونَها للنّاس**».

□ أهمِّيَّة الثَّبات علىٰ المنهج:

وكما أنَّ التِزام منهج السَّلَف واجب؛ فكذلك الثَّبات عليه.

إنّ الثَّبات علىٰ منهج السَّلف؛ هو: الاستِقامة علىٰ صراط الله المُستقيم، وشَرْعِه القَويم، وطريقِه المُوصِل إلىٰ جنَّات النَّعيم، الّذي مَن سَلَكَهُ واستقامَ عليه؛ نَجَا، ومَن انحرفَ عنهُ؛ ضَلَّ وغَوَىٰ، وتشعَّبَت بِه طُرُق الضَّلال، وأقفلَت أمامَه طُرُق النَّجاة.

فالثابتون عليه هُم الفائزون، والزّائعون عنهُ هُم الهالِكُون.

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحِجر:٩٩]، واليقين -هُنا-؛ هو: المَوت.

ولا مُقارَنَة بَيْنَ مَن فَقَدَ الثَّبات فَعَجَز عن السَّير علىٰ منهجِ الله، وبَيْنَ مَن ثَبَتَ فوفَّقَهُ اللهُ للسَّير عليه.

◻ أسباب الثَّبات علىٰ المنهج:

أوَّلًا: العِلم بالمنهج:

قال ابنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «السَّائر إلىٰ الله والدّار الآخِرة، بل كُلُّ سائرٍ إلىٰ مَقصدِه؛ لا يتمّ سيْره، ولا يَصِل إلىٰ مقصوده، إلّا بقوّتَيْن: قُوَّة علميَّة، وقُوَّة عمليَّة، فبالقوَّة العلميَّة يُبصِر مَنازل الطَّريق، ومواضع السُّلوك فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك، ومواضع العطب، وطرق المهالك المُنحرِفة عن الطَّريق المُوصِل».

ثانيًا: الاستجابة لِأمر الله بلزوم المنهج:

قال -تعالىٰ- للنَّبيِّ ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْٓاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود:١١٢].

وعن سُفيان بن عبد الله الثَّقَفِيّ، قال: قُلتُ: يا رسول الله! قُلْ لِي في الإسلام قَوْلًا لا أسألُ عنهُ أحدًا غَيْرَك (قال أبو معاوية: بَعْدَك)، قال: «قُل: آمنتُ بالله، ثُمّ اسْتَقِمْ».

ولقد أَمَرَ المَوْلَىٰ -سُبحانَه وتعالىٰ- في آياتٍ كُثر بِلُزُوم صراطه المُستقيم، وأوجبَ اتِّباعه علىٰ الخَلْقِ أَجمعِين، فقال -سُبحانه-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

قال الطحاوي-رَحِمَهُ اللَّهُ-:«ولا تثبُت قَدَم الإسلام إلّا علىٰ ظهر التَّسليم والاستِسلام».

ثالثًا: الحذر مِن العُدُول عن المنهج:

ولقد حذَّر اللهُ أيّما تحذير، وهدَّدَ أيّما تهديد، وتوعَّد وأنذرَ مَن خالَفَ طريق الرسول ﷺ، وسَلَكَ طريقًا غيرَه، واتَّبَعَ منهجًا سواه مِن مناهج أهل الأرض الزائغة عن الصراط المُستقيم.

فقال -سُبحانه-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

رابعًا: الأخذ بالوسطيَّة والاعتدال:

إنَّ مِن أعظَم ما يُعِين علىٰ الثَّبات علىٰ المنهج؛ أنْ يَتَّسِمَ السَّائرُ عليه بالوسطيَّة، وهو مَطْلَب عَزيز طالما زَلَّت فيه أقدام، واضطربَت فيه أفهام، وقَلَّ أهلُه بَيْنَ النّاس، أُولئكَ الّذين يَتَّسِمُون بالعدل والإنصاف مع أنفُسِهم ومع غيرِهم.

وهذا الّذي دَفَعَ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ- أنْ يَجْعَلَ جماع الشَّرّ يَكمُن في عدم الاعتدال؛ حيثُ قال: «وإنّما جماع الشّر تَفريط في حقّ، أو تَعَدٍّ إلىٰ باطل، وهو تقصير في السُّنَّة، أو الدُّخول في البِدعة؛ كَتَرك بعض المأمور، وفِعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل، ولهذا عامَّة ما يُؤْتَىٰ النّاس مِن هذَيْن الوجهَيْن».

خامسًا: عَدَم الوَحشة بقلَّة السّالكِين علىٰ المنهج:

قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقد بَيَّنَ ﷺ أنَّ الّذين يَسلُكون منهجَه،

ويتَّبِعُونَ صِراطَه، ويَثبُتون علىٰ طريقِه هُم عددٌ قليلٌ، ونَزْرٌ يَسِيرٌ مِن هذه الأُمّة.

قال ابنُ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعةُ: ما وافَقَ الحقَّ، وإنْ كُنتَ وَحْدَك».

وقال بعضُ السَّلَف: «عليكَ بطريقِ الحقِّ، ولا تستوحِشْ لِقِلَّةِ السَّالكِين، وإيَّاك وطريق الباطِل، ولا تَغْتَرَّ بِكثرة الهالكِين».

سادسًا: رَبْط المُسلِم بِسَلَفِهِ الصَّالح، وبالعُلماء الرَّبَّانِيِّين:

السّابقِين منهُم والمُعاصِرين؛ ويَكُون ذلك بالْتِزام منهجِهم بالعِلْم والعَمَل، قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[الحشر:١٠].

قال الشيخُ السّعديّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وحَسْب مَن بَعْدَهُم مِن الفَضْلِ أنْ يَسِيرَ خَلْفَهُم، ويَأْتَمَّ بِهُداهُم، ولهذا ذَكَرَ اللهُ مِن اللَّاحِقِين مَن هُو مُؤْتَمّ بِهِم وسائر خلفهم؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ أي: مِن بَعْدِ المُهاجِرين والأنصار، ﴿يَقُولُونَ﴾: علىٰ وَجْه النُّصْح لِأنفُسِهم، ولسائرِ المُؤمنِين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾».

لهذا؛ كان واجبًا علىٰ الأُمَّة الإسلاميَّة رِعاية حُقوق العُلماء، ومَعرفة حُقوقهم.

فلقد كان مِن أعظم أسباب انحراف الخوارج مِن قَبْل: عدم رعايتهم لحقوق العُلماء ومنازلهم، فلَم يَرْفَعُوا بالعُلماء مِن سادات صحابة الرسول ﷺ رأسًا، بل رَفَضُوا أقوالَهم، وتَبَرَّأُوا منهُم، وكَفَّرُوهُم، واسْتَحَلُّوا دِماءَهُم وأَمْوالَهُم. ولو عَرَفُوا أَقدارَ هؤلاء الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لَسَلِمُوا مِن غوائل الانحراف، ومَفاسد الغُلُوّ.

أهمّ أصُول منهج السَّلَف في العَقيدة

١- حَصْرُهم مصدر التَّلَقِّي في باب الاعتِقاد علىٰ: الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع السَّلَف:

ونَقصد بِـ(مصدَر التَّلقِّي): المَنْبَع الّذي يُستمَدُّ منهُ الدِّين بشكلٍ عامٍّ، والعقيدة بشكل خاص؛ ذلك لأنّ العقيدة غَيبٌ، والغيب هو ما غابَ عن الحَواس.

إذًا؛ فهي توقيفية، فلا يثبت منها شيءٌ بغير الوحيَين (الكتاب والسُّنَّة)، والإيمان بالغيب (الأمور العقديّة) هي أوّل صِفة مِن صفات المُتّقِين، الّذين قالَ -تعالىٰ- فيهِم: ﴿الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:١-٣].

◻ فالمصدر الأوّل للتلقِّي: القُرآن:

تعريفُه: «**القُرآن**؛ هُو: **كلام الله** حقيقةً، المُنَزَّل علىٰ رسولِه ﷺ وَحْيًا، المُتعبَّد بِتلاوَتِه، المَنقول إلينا بالتَّواتر، والمحفوظ مِن التَّحريف والتَّبديل، والزِّيادة والنُّقصان».

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحِجر:٩].

◻ المصدر الثاني للتلقِّي: السُّنَّة:

تعريف **السُّنَّة** -في اللُّغة-: هي الطريقة، سواء كانت حَسَنَة، أو سيِّئة.

السُّنَّة -في الاصطِلاح-: «ما ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ؛ مِن قَوْلٍ، أو فِعْلٍ، أو تَقْرِير».

والسُّنَّة مِن الذِّكر والوحي الّذي تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ مِن حيث الجُملة، وهي تُنسَب إلىٰ الرسول ﷺ مِن جهة المُنشِئ لألفاظِها، أمّا معانيها؛ فهي مِن الله -تعالىٰ-.

قال -تعالىٰ- عن رسولِه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. وقال -تعالىٰ-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧].

وقال أيُّوب السّختياني -رَحِمَهُ اللهُ-: «إذا حُدِّث الرَّجُل بالسُّنَّة، فقال: دَعْنا مِن هذا، وحدِّثنا مِن القُرآن؛ فاعْلَم أنَّه ضالٌّ مُضِلّ».

❐ المصدر الثالث للتلقِّي: الإجماع:

الإجماعُ -لُغةً-؛ هو: العَزْم المُصمّم والاتِّفاق. قال -تعالىٰ- عن نبيِّه نُوح عليه السلام: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١].

الإجماع -عند الأُصوليِّين (الاصطلاح)-: «هو: اتِّفاق مُجتهِدِي عَصْر مِن العُصور مِن أُمّة محمد ﷺ علىٰ حُكْمٍ شرعيّ بَعدَ وفاتِه».

وهو حُجَّة عند جُمهور الأُمَّة؛ خلافًا للخوارج والرَّوافض.

قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

قال ابنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللهُ-: قال غيرُ واحدٍ مِن السَّلَف: هُم أصحاب محمّد ﷺ. ولا ريبَ أنّهم أئمّة الصّادِقين، وكُلّ صادق بعدَهم فَبِهِم يأْتَمُّ في صِدْقِه، بل حقيقة صِدقه اتِّباعُه لهُم وكونه معهم، ومعلومٌ أنّ مَن خالفَهُم في شيءٍ -وإنْ وافَقَهُم في

غيرِه-؛ لَمْ يَكُن معهُم فيما خالفَهُم فيه، وحينئذٍ فيَصْدُق عليه أنّه ليس منهُم».

* وقال ابنُ وَهب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ذهب داود وأصحابُنا إلىٰ أنّ الإجماع إنّما هُو إجماع الصَّحابة -فقط-».

* وقال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «والإجماع هو الأصل الثالث الّذي يُعتمَد عليه في العِلم والدِّين، وهُم يَزِنُون بهذه الأُصول الثّلاثة جميع ما عليه الناس مِن أقوالٍ وأعمالٍ باطنة أو ظاهرة، ممّا له تعلُّق بالدِّين، والإجماعُ الّذي يَنضبِط هو ما كان عليه السَّلَف الصَّالح؛ إذ بَعْدَهم كَثُرَ الاختلاف، وانتشرَت الأُمَّة».

وقال -أيضًا-: «أمّا الاعتقاد؛ فلا يُؤخَذ عنِّي، ولا عمَّن هُو أكبر مِنِّي، بل يُؤخَذ عن الله ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سَلَف الأُمَّة، فما كان في القُرآن؛ وَجَبَ اعتقادُه، وكذلك ما ثَبَتَ في الأحاديث الصَّحيحة مِثل (صحيح البخاري) و(مُسلم)».

٢- احتجاج السَّلَف بالسُّنَّة الصَّحيحة مُطْلَقًا:

سواءً كانت مُتواترة أو آحادًا، وذلك في باب العقيدة والعمل؛ فالسَّلَف لا يُفرِّقُون بَيْن المُتواتر والآحاد. وما وَرَدَ في كُتُبِهم مِن الأحاديث الّتي فيها مَقال؛ فلا يُورِدُونها للتأصيل، وإنَّما للاستئناس، ويُوردُونها بأسانيدها.

قال -تعالىٰ-: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾[النجم:٣-٤].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتابَ ومِثلَه معه...**».

وقال ابنُ حَزم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «... فصحَّ أنَّ كلامَ رسولِ الله ﷺ كُلّه في الدِّين وَحْي مِن عندِ الله -عزَّ وجلَّ-، لا شكَّ في ذلك، ولا خِلافَ بَيْنَ أحدٍ في ذلك مِن أَهل اللُّغة والشَّريعة في أنَّ كُلَّ وَحْيٍ نَزَلَ مِن عندِ الله -تعالىٰ- فهُو ذِكْر مُنزل».

والمقصود بالسُّنَّة الصَّحيحة: الأحاديث المَقبولة دُون المَردودة.

ومعنَىٰ أنّ السُّنَّة حُجَّة: «أَيْ: أنَّها مَصدر للتَّشريع وتلقِّي الدِّين، يَلزم اتِّباعها، ويكفر جاحدها، وتَقوم بها الحُجَّة، ويَنقطع بها العُذر».

٣- فَهْم النُّصوص علىٰ ضوء أقوال السَّلَف:

◘ الفَهْم -في اللُّغة-:

هُو: حُسْن تَصَوُّر المَعنىٰ ووجوده، واستعداد الذِّهن للاستِنباط، ويُقال: فهمت عن فُلان، وفهمت به.

◘ الفَهْم في الاصطِلاح:

هو المعرفة بشيء، أو مَوقف، أو حدث، أو تقرير لَفظي، ويَشمل المعرفة الصَّريحة المُتكاملة بالعلاقات والمبادئ العامَّة، وهُو يَشمل التَّفسير والتَّوظيف، والذَّاكرة اللُّغويَّة.

قال الفارُوق عُمَر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ الفَهْم، الفَهْم فِيما أُدْلِي عليك ممّا ليس في قُرآن وسُنَّة، ثُمّ قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثُمّ اعْمَد -فيما تَرَىٰ- إلىٰ أحبِّها إلىٰ الله، وأشبهها بالحقِّ».

أوّلًا: دلالة القُرآن الكريم:

قال-تعالىٰ-:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسط: الخِيَار العَدل، فالصَّحابة خير الأُمَّة، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونيّاتهم، وبهذا استحقُّوا أنْ يَكُونُوا شُهداء للرُّسُل علىٰ أُمَمِهِم يومَ القيامة.

وقال -تعالىٰ-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠].

ثانيًا: دلالة السُّنَّة النبويَّة:

قوله -عزَّ وجلَّ-: «**خيرُ النَّاس قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُم، ثُمّ الَّذِين يَلُونَهُم**...».

والعُموم في الحديث يَقتضِي عُمُوم الخيرية في الاعتقاد والفَهْم والعَمَل.

ثالثًا: دلالة الإجماع وأقوال العُلماء:

أ- الإجماع:

* قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «اتِّفاق أهل السُّنَّة والجماعة مِن جميع الطّوائف علىٰ: «أنَّ خيرَ قُرون هذه الأُمَّة -في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها مِن كُلّ فضيلة: القَرن الأوّل، ثُمّ الّذين يَلُونَهم، ثُمّ الّذين يَلُونَهم... وأنَّهم أَفضل مِن الخَلَف في كُلِّ فضيلة مِن عِلم وإيمان، وعَقل ودِين وبيان، وعبادة، وأنَّهم أَوْلَىٰ بالبيان لِكُلِّ مُشكِل، فهذا لا يَدفعُه إلّا مَن كابَرَ المَعلُوم بالضَّرورة مِن دِين الإسلام، وأَضَلَّهُ اللهُ علىٰ عِلم...».

ب- أقوال سَلَف هذه الأُمَّة وعُلمائها:

* قال حُذيفة بن اليَمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّقُوا اللهَ يا مَعشَر القُرَّاء! خُذُوا طريقَ مَن كان

قَبْلَكُم، واللهِ لِئن استقمتُم؛ فقد سَبَقْتُم سَبْقًا بعيدًا، ولَئِن تَركتُمُوه يَمينًا وشمالًا، لقد ضَلَلْتُم ضَلالًا بَعيدًا».

* وقال الإمامُ أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أُصول أهل السُّنَّة عندنا: «التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع...».

* وقال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وأصل وُقوع أهل الضَّلال في مِثل هذا التَّحريف؛ الإعراض عن فَهْم كتاب الله -تعالىٰ- كما فَهِمَه الصَّحابة والتابعون، ومُعارَضَة ما دَلَّ عليه بما يُناقِضه».

◻ رابعًا: دلالة العَقل:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «مِن المُحَال أنْ تكون القُرون الفاضلة -القَرن الّذي بُعِثَ فيه رسول الله ﷺ ثُمّ الّذين يَلُونَهم، ثُمَّ الّذِين يَلُونَهُم- كانُوا غير عالِمِين وغير قائلِين في هذا الباب بالحقِّ المُبِين؛ لأنَّ ضدّ ذلك: إمّا عدم العِلم والقَول، وإمّا اعتقاد نقيض الحقّ، وقول خلاف الصِّدق، وكِلاهُما مُمتنِع».

◻ فوائد الالتزام بفَهْم السَّلَف:

الفائدة الأُولىٰ: أنَّ فَهْم السَّلَف عاصِم مِن التَّفَرُّق والاختلاف؛ قال عُمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كيف تختلف هذه الأُمَّة ونبيّها واحد، وقِبلتُها واحدة؟!»، فقال ابنُ عبّاس: «يا أميرَ المُؤمنِين! إنَّما أُنزِلَ علينا القُرآن، فقرآناه، وعَلِمنا فيمَن نَزَل، وإنّه سيكون بَعْدَنا أقوامٌ يَقرؤُون القُرآن، ولا يَدرُون فيمَن نَزَل، فيكون لهُم فيه رأي، فإذا كان لهُم فيه رأي؛ اختلفُوا، فإذا اختلفُوا اقْتَتَلُوا...».

الفائدة الثانية: النَّظَر في عَمَل السَّلَف وفَهْمِهم للدَّليل؛ شاهد علىٰ صِحَّة

الاستِدلال به، ومُصدّق له، فعمل السَّلَف بالدَّليل مُخلص له مِن شوائب الاحتمالات المُقدّرة، قاطع بوجه معيّن، ومبيّن للمُجمل، ورافِع للإشكال، ودافِع للإيهام.

الفائدة الثالثة: السُّكوت عمَّا سَكَت عنهُ السَّلَف؛ فكُلّ ما سَكَتَ عنهُ الصَّحابة والسَّلَف، وتكلَّم فيه الخَلَف -وذلك فيما يتعلَّق بمسائل الاعتقاد والإيمان-، كان السُّكوت فيه أَوْلَىٰ وأَلْيَق، ولَم يأتِ فيه الخَلَف إلّا بباطل مِن القول وزُور.

الفائدة الرابعة: حَسْم مادَّة الابتداع والضَّلال؛ لأنّ كثيرًا مِن فِرَق الضَّلال يَتعلَّق ببعض ظواهر النُّصوص فيوجِّهها -لَيًّا وتحريفًا- لِنُصرة مذهبِه، ولتأييد بدعتِه. وفَهْم السَّلَف لهذه النُّصوص هو الفيصل، وهو الحَقّ، وليس دُونَه إلّا الضَّلال والشِّقاق، قال -تعالىٰ-: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٣٧].

الفائدة الخامسة: استعمال السَّلَف وأهل السُّنَّة هذه القاعدة في الرَّدّ علىٰ الخُصوم؛ ونَذكُر لذلك أُنموذجًا:

قول ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج يومَ أنْ ناظَرَهُم: «جئتُكم مِن عندِ أصحاب رسول الله ﷺ، وليس فيكُم منهُم أحد، ومِن عند ابن عمّ رسول الله ﷺ، وعليهِم نَزَلَ القُرآن، وهُم أَعلَم بتأويلِه».

٤- التَّسليم بما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي:

تعريف التَّسليم؛ هو: الاستِسلام والإذعان والانقياد لما جاء في الوحْيَيْن (الكتاب والسُّنَّة) مِن أُمور الاعتقاد والأحكام.

قال -تعالىٰ-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥].

فنوحِّدُه بالتَّحكيم، والتَّسليم، والانقياد، والإذعان، كما نُوحِّد المُرسِل بالعبادة والخُضوع، والذُّلّ، والإنابة، والتَّوكُّل.

فهُما تَوحيدان؛ لا نَجاةَ للعبد مِن عذاب الله إلّا بهما: تَوحيد المُرسِل بعبادته، وتَوحيد المُرسَل (الرسول ﷺ) بطاعتِه ومتابعتِه.

❐ ما العقل؟ وما منزلته في الإسلام؟

العَقل -في اللُّغة-: مَصدر عقل يَعْقِلُ عقلًا؛ فهُو مَعقول، وعاقل. وأصل معنىٰ العقل: المَنع. وتقولُ العرب: عَقَلَ الناقة؛ أيْ: مَنَعَها بالرَّبْط.

العقل -في اصطلاح بعض أهل العِلم-: له أربعة معانٍ: الغريزة المُدْرِكة، والعُلوم الضروريَّة، والعُلوم النظريَّة، والعمل بمُقتضىٰ العِلم.

❐ مكانة العقل:

وقد اختُلِفَ في هذه القضيَّة اختلافًا كثيرًا، وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ-: «والتحقيق أنَّ العقل له تعلُّق بالدِّماغ والقلب معًا؛ حيثُ يكون مَبدَأ الفِكر والنَّظر في الدِّماغ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، ولهذا يُمكِن أنْ يُقال: «إنّ القلب مَوطن الهداية، والدِّماغ مَوطِن الفِكْر». واللهُ أعلم.

❐ منزلة العَقل في الإسلام:

لقد كرَّم الإسلام العَقل أيّما تكريم؛ كرَّمه حين جعله مناط التَّكليف عند

الإنسان، والذي به فضَّله الله علىٰ كثير ممَّن خَلَقَ تَفضيلًا، وكرَّمه حين وجَّهه إلىٰ النَّظر والتَّفكير في النَّفس، والكون والآفاق: اتِّعاظًا واعتبارًا، وتسخيرًا لِنِعَم الله واستفادة منها، وكرّمه حين أمسكه عن الوُلوج فيما لا يُحسِنه، ولا يَهتدِي فيه علىٰ سَبيل رحمتِه به، وإبقاء علىٰ قوّته وجهده.

◻ موقف السَّلَف مِن العقل:

١- أنَّ صحيح المنقول لا يُعارض صَريح المعقول.

٢- أنَّ العَقل لا يستقلّ بنفسه بالإرشاد، بل هو تابع للشَّرع، ولو كان يستقل بنفسه لَمَا أرسل الله الرُّسُل، وأنزل الكُتُب، وبهذا أمر السَّلَف، فإذا تعارض الشّرع والعَقل وَجَب تَقديم الشَّرع؛ لأنّ العقل مُصدِّق للشَّرع في كُلّ ما أخبر به، والشَّرع لَم يُصدّق العقل في كل ما أخبر به، كما قال علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لو كان الدِّين بالرَّأي؛ لكان أسفل الخُفّ أَوْلَىٰ بالمَسح مِن أعلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَمسح علىٰ ظاهر خُفَّيْه».

٣- حاجة العَقل إلىٰ النَّقل كحاجة العَين إلىٰ الضّوء للإبصار.

٤- ثُمَّ إذا جعلنا العقل هو الأصل وهو المتبوع؛ فأيُّ العُقول نجعله قَيِّمًا وحَكَمًا أو أُنموذجًا؟

وبهذا يُعلَم أنّه لا يُمكن أنْ يكون تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به مُتعلِّقًا بشرط، ولا موقوفًا علىٰ انتفاء موانع؛ كمثل الّذي يقول: لا أُصدِّق ما أَخبرَ به حتّىٰ أعلمه بعقلي. فهذا كُفْرُه ظاهرٌ، وهو ممّن قال اللهُ فيه: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:١٢٤].

وأهلُ الحقّ لا يطعنون في جِنس الأدلّة العقلية، ولا فيما علم العقل صحته، وإنّما يطعنون فيما يدّعي المعارض أنّه مُخالف للكتاب والسُّنَّة.

قال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ومتىٰ تعارض في ظنّ الظانّ الكتاب والميزان -أي: العقل-؛ فأحد الأمرَين لازم، إمّا فساد دلالة ما احتج به مِن النصّ، بأنْ لا يكون ثابتًا عن المعصوم، أو لا يكون دالًّا علىٰ ما ظنّه، أو فساد دلالة ما احتجّ به مِن الميزان (القياس) بفساد بعض مقدّماته أو كلّها، لما يقع في الأقيسة مِن الألفاظ المُجملة المشتبهة».

قال ابنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في «نونيَّته»:

فإذا تعارَضَ نَصّ لفظ وارد ... والعقل حتّىٰ ليس يلتقيانِ
فالعقل إمّا فاسد ويظنّه ... الرائي صحيحًا وهو ذُو بطلانِ
أو أنّ ذاك النّصَّ ليس بثابتٍ ... ما قالَه المَعصوم بالبُرهانِ

٥- عدم الخوض في عِلم الكلام:

❐ مَن هُم أهل الكلام؟

إنّ **أهلَ الكلام**؛ هُم: كُلّ مَن قال برأيِه وذَوْقِه وسياستِه، مع وجود النصّ، أو عارضَ النَّصّ بالمعقول؛ فقد ضاهىٰ إبليس، حيث لَم يُسلِّم لأمر ربِّه، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف:١٢].

ودخل في زُمرة أهل الكلام.

إنّما سُمُّوا بأهل الكلام؛ لأنّهم لَم يُفيدوا عِلمًا لَم يَكُن مَعروفًا، وإنَّما أتوا بزيادة كلام قد لا يُفيد، وهو ما يضربونه مِن القياس لإيضاح ما عُلِم بالحِسّ، وإنْ كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخَر، ومع مَن يُنكِر الحِسّ.

◻ أهمّ أُصول أهل الكلام في تلقِّي الدِّين:

ولأهل الكلام أصول كثيرة في العقائد والأحكام، ومِن أهمِّها:

١- مسائل الاعتقاد لا تُبنَىٰ -عندَهم- إلّا علىٰ القطعيَّات، والقطع إنَّما يُستفاد مِن جهة العقل، لا مِن جهة النَّقل؛ لأنّ مِن النَّقل، ما لا يُفيد يَقينًا (بزعمِهم)؛ وعليه فقد أسَّسُوا عقائدهم ومسائلهم ابتداء علىٰ قضية العقل.

٢- جواز التعارض بَيْن العقل والنقل؛ أيْ: بَيْن العقل الصريح والنقل الصحيح.

٣- وُجوب تقديم الدليل العقلي مُطلَقًا، وذلك مِن جهة كونه عقليًّا -فقط-.

٤- عدم إفادة الدليل النقلي لليقين.

٥- إنّ الضَّابط في حَمل اللَّفظ علىٰ الاحتمال المرجوح صحّة معناه في اللُّغة، دُون اعتبار للسياق الّذي وَرَدَ به، أو كلِّيَّات الشَّريعة، أو التزام منهج السَّلَف فِي فَهم النُّصوص، وإجرائها علىٰ ظواهرها.

٦- إنّ الدليل الصَّارف لِلَّفظ عن ظاهرِه هو دليل العقل، وهو إحالة اللَّفظ عقلًا.

◻ موقف أهل الكلام مِن نُصوص الكتاب والسُّنة إذا خالفَت أُصولَهم:

الأول: الإنكار؛ وذلك بالطَّعن في صحّتِها، ولا سيَّما إذا كانت أخبار آحاد.

الثاني: الإعراض عن معانيها، وذلك بعدَ ثُبوت وُرودها؛ كأنْ تكون قُرآنًا، أو أخبارًا مُتواترة، ولهُم في الإعراض عنها سبيلان:

أ- الإعراض عنها بالكليَّة، بقُلوبهم وعُقولهم، وتفويض علم معانيها إلىٰ الله -تعالىٰ-، مع اعتقاد أنّ ظواهرها غير مُرادة، وهي الّتي يُسمّونها زُورًا طريقة السَّلَف.

ب- تحريف الكَلِم عن مواضعه، مُستعمِلين شواذّ اللُّغات وأنواع التمحُّلات، وهذا الّذي يُسمُّونه تأويلًا.

فحقيقة مذهب هؤلاء المتأوِّلة: أنّ الرسول ﷺ لَم يُبَيِّن الحقّ، ولا أوضحه لأمته، مع أمره ﷺ أُمّته أنْ يعرفوا الحق ويعتقدوه، لكنّه لَم يُبيِّنه لهُم، بل دلّهم علىٰ نقيضه، وأنّ نُصوص الكتاب والسُّنة نَطَقَت بصريح الكُفر والتشبيه والإلحاد، فالمطلوب منهم اعتقاد ما لَم تدلّ عليه النُّصوص، بل دلّت علىٰ نقيضه.

◻ موقف السَّلف مِن أهل الكلام:

١- عن نافع قال: بينما نحن عند عبد الله بن عُمَر رضي الله عنه قُعودًا إذْ جاء رجُل فقال: إنّ فُلانًا يقرأ عليك السَّلام (لرجُل مِن أهل الشَّام)، فقال عبدُ الله: بَلَغَني أنّه أَحدَثَ حَدَثًا، فإنْ كان كذلك، فلا تَقرأنَّ عليه مِنِّي السَّلام، سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّه سيكون في أُمَّتِي مَسْخٌ، وقَذْفٌ**»، وهو في الزنديقيَّة والقَدَرِيَّة.

٢- قال عبدُ الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: «دخلتُ علىٰ مالك بن أنس رضي الله عنه وعندَه رجل يسأله عن القُرآن والقَدَر؛ فقال: لعلَّك مِن أصحاب عمرو بن عُبَيد؟! لَعَنَ اللهُ

عَمْروًا؛ فإنّه ابتدعَ هذه البدعة مِن الكلام، ولو كان الكلام عِلمًا لتكلَّم به الصحابة والتابعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما تكلَّموا في الأحكام والشَّرائع، ولكنَّه باطل يَدُلُّ علىٰ باطِل.

٣- وقال الإمامُ الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ما رأيتُ أحدًا ارتدَىٰ بالكلام فأفلح، ولَأَنْ يُبْتَلَىٰ المَرْءُ بكُلِّ ذَنب نَهَىٰ اللهُ عنه ما خَلَا الشِّرك؛ خيرٌ له مِن أنْ يُبتلَىٰ بالكلام».

٤- وقال الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فيما كتبتُ إلىٰ المتوكِّل: لستُ بصاحب كلام، ولا أرَىٰ الكلام في شيءٍ مِن هذا، إلّا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ، أو عن التابعين، فأمّا غير ذلك؛ فالكلام فيه غير محمود».

خصائص المنهج السلفي

١- السُّهولة والوُضوح:

والإسلام قد دَلَّ علىٰ السُّهولة والوضوح في فَهْم الإسلام، مِن نُصوص القُرآن والسُّنَّة وأقوال السَّلَف والمعقول.

ومنه: تيسير الله -عزّ وجلّ- القُرآن للذِّكر والحِفظ والفَهْم؛ قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧].

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لولا أنّ اللهَ يسَّره علىٰ لسانِ الآدمِيِّين، ما استطاع أحد مِن الخَلق أنْ يتكلَّم بكلام الله -عزَّ وجلّ-».

قال ابنُ القيِّم -رحمه الله-: «ومعلوم أنّه لو كان بألفاظ لا يَفهمها المُخاطَب، لَم يكُن ميسرًا له، بل كان معسرًا عليه».

عن أُبَيّ بن كَعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقي رسول الله ﷺ جِبريل، فقال: **يا جبريل إنِّي**

بُعِثتُ إلىٰ أُمَّة أُمِّيِّين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الّذي لَم يقرأ كتابًا قطّ. قال: يا محمد! إنّ القُرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف».

فهذا دليلٌ علىٰ أنّ معاني القُرآن مبذولة لكلِّ أحد ممّن أُنزل القُرآن بلسانِهم، فقد أُنزل علىٰ سبعة أحرُف، يقرأونه علىٰ اختلاف قبائلهم تيسيرًا لهم.

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إنّ الصَّحابة والتابعين لَم يَمتنِع أحدٌ منهُم عن تفسير آية مِن كتاب الله، ولا قال: هذه مِن المُتشابه الّذي لا يَعلم معناه، ولا قال قطّ أحد مِن سلف الأُمَة، ولا مِن الأئمَّة المَتبوعِين: إنّ في القُرآن آيات لا يَعلم معناها ولا يَفهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العِلم والإيمان جميعهم، وإنّما ينفون عِلم بعض ذلك عن بعض النّاس، وهذا لا ريبَ فيه».

٢- الاتِّفاق علىٰ المنهج:

قال أبو عُثمان إسماعيل الصابوني -رَحِمَهُ اللَّهُ- بعدَ أنْ قرَّر منهج السَّلَف في الاعتقاد-: «وهذه الجُمل الّتي أُثْبِتُها في هذا الجُزء، كانت معتقدهم جميعًا، لَم يُخالِف فيها بعضُهم بعضًا، بل أجمعُوا عليها كلّها، ولم يثبت عن أحدٍ مِنهم ما يضادّها».

وممّا يدلّنا علىٰ أنّ أهل الحديث هُم علىٰ الحقّ، أنّك لو طالعتَ جميع كُتُبِهم المُصنَّفة مِن أوَّلهم إلىٰ آخِرِهم -قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بُلدانهم وأزمنتِهم وتباعُد ما بينهِم في الدِّيار، سَكَن كُلّ واحد منهم قُطْرًا مِن الأقطار- وجدتَهم في بيان الاعتقاد علىٰ وَتيرةٍ واحدةٍ، ونَمَطٍ واحد، يجرون فيه علىٰ طريقة لا يَميلون عنها، ولا يميلون فيها.

٣- الاجتماع علىٰ الحقّ:

لقد أَمَرَنا اللهُ بالاجتماع علىٰ الحقّ، وعدم التفرُّق والاختلاف الّذي هو سبب الظُّلم والبغي، وما يُؤدِّي إليه مِن سَبّ الأُمّة بعضها بعضًا، واستحلال بعضها دماء بعض.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣].

وقال ﷺ: «**مَن أرادَ بحبوحة الجنّة؛ فلْيَلْزَم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أَبْعَد**».

وقال عبدُ الله بنُ مسعود رضي الله عنه: «يا أيّها الناس! عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنّها حَبل الله الذي أَمَرَ به، وإن ما تكرهونه في الجماعة خير ممّا تُحبُّون في الفُرقة».

ولهذا؛ كان الاجتماع علىٰ الحقّ مِن السِّمات البارزة المُميِّزة لأهل السُّنة والجماعة، الّتي يُفارِقون بها أهل البِدع.

قال اللهُ -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٢-١٠٣].

والنبيُّ ﷺ حَثَّ علىٰ التآلُف والتَّحابّ بقولِه وفِعلِه ﷺ، ونَهَىٰ عن التَّفرُّق والاختلاف الّذي يُؤدِّي إلىٰ تفريق الكلمة وذهاب الرِّيح. حتّىٰ في الأُمور الّتي تَبدُو صغيرة، فقد يذكر سبب الحديث قال رسول الله ﷺ: عندما رأىٰ تفرُّق الصَّحابة في

الأودِيَة والشِّعاب حين ينزلون منزلًا: «**إنَّ تَفَرُّقَكُم في هذه الشِّعاب والأَودِيَة إنَّما ذلكُم مِن الشَّيطان، فلَم يَنزل بعدَ ذلك منزلًا إلّا انضمَّ بعضُهم إلىٰ بعض حتّىٰ يُقال لَو بُسِط عليهِم ثَوبٌ لَعَمَّهُم**».

٤- العدل والإنصاف:

قال اللهُ -تعالىٰ-: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]؛ يقول ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «هذه الآية نَزَلَت بسبب بغضهم للكفّار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الّذي أَمَرَ اللهُ به قد نُهي صاحبه أنْ يَظلِم مَن أبغضه، فكيف في بغض مُسلم بتأويل وشُبهة أو بهوَىٰ نفس؟ فهو أحقّ ألّا يُظلَم، بل يعدل عليه».

□ البُعد عن الإنصاف يُفسد القُلوب:

قال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ما أكثر ما يُصوّر الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر والجهاد في سبيل الله! ويكون مِن باب الظُّلم والعُدوان».

□ إنصاف المُخالِف يُشيع العَدل بَيْن المُختلِفين:

يقولُ إسحاق بنُ راهويه -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «الحقُّ يُحِبُّه اللهُ -عزَّ وجلَّ-: أبو عُبيد القاسم بن سلّام أَفقه مِنِّي، وأعلم مِنِّي».

وكان أحمدُ بنُ حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقولُ في إسحاق بن راهويه -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لَم يَعبر الجِسر إلىٰ خُراسان مِثل إسحاق، وإنْ كان يُخالِفنا في أشياء، فإنّ الناس لَم يَزَل

يُخالفُ بعضُهم بعضًا».

□ الإنصاف بتغليب المحاسن:

١ - تُستَرُ العيُوب إذا غَلَبَت المَحاسِن:

قال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لو قُدِّر أنّ العالِم الكَثير الفتاوَىٰ أخطأ في مئة مسألة؛ لَم يَكُن ذلك عيبًا».

ويقولُ سَعيد بنُ المُسيّب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «... فليس مِن شريف ولا عالِم ولا ذِي سُلطان إلّا فيه عيب لا بُدَّ، ولكِن مِن النّاس مَن لا تُذكَرُ عُيوبُه، مَن كان فضلُه أكثر مِن نقصه؛ وُهِب نقصه لفضله».

٢- لا يُشترط في المُحسن العِصمة مِن الخطأ:

يقول ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- مُعتذِرًا لبعض شيوخ التصوف الأقرب إلىٰ السُّنة: «لكِن شيوخ أهل العِلم الّذين لهم لسان صدق، وإنْ وَقَعَ في كلام بعضِهم خطأ مُنكَر؛ فأصل الإيمان بالله ورسوله إذا كان ثابتًا؛ غُفِرَ لأحدهم خطؤه الّذي أخطأه بعد اجتهاد».

٣- إذا أنصفنا أهل الذِّمَّة؛ أفلا نُنصف أهل المِلّة؟!

ويُذكَر مِن مواقف ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- السامية في الإنصاف حتىٰ مع غير المُسلمين: أنّه حين سَعَىٰ في إطلاق سراح أسرىٰ المُسلمين مِن التتار، وعلِم أنّهم لن يُطلِقوا معهم أسرىٰ أهل الذمة؛ أصرَّ علىٰ إطلاق الجميع معًا، وقال: «بل جميع مَن معك مِن اليهود والنصارىٰ، الذين هُم مِن أهل ذِمَّتِنا؛ فإنّا نفكهم، ولا ندع أسيرًا

لا مِن أهل المِلَّة، ولا مِن أهل الذِّمَّة».

□ مِن مظاهر الإنصاف:

١- لا يُرد الحق لمجرّد أنّ قائله مُبطِل؛ فالعبرة بالقول لا بالقائل:

فالله صدَّق مَلكة سَبَأ في قولِها عن المُلوك؛ فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]؛ فلَم يكن كفرها مانعًا مِن تصديقها في الحق الذي قالته.

٢- لا يُنكر صواب المُخالف وإنْ ساء طَبْعُه:

قال الذهبيُّ عن يُوسف بن آدم -رَحِمَهُ اللَّهُ- إنّه: «مِن مشايخ السُّنَّة.. وكان أمَّارًا بالمعروف وداعيًا إلىٰ الأثر بزعارَّة».

٣- تَمَنِّي الصَّواب للمخالف؛ علامة التعقُّل والإخلاص:

قال حاتم الأصمّ: «معي ثلاث خصال أظهرُ بها علىٰ خصمي: أفرحُ إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي ألّا أجهل عليه».

فلمّا بَلَغَ ذلك الإمامَ أحمد ابن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-؛ قال: «سُبحان الله! ما كان أعقله مِن رجُل».

٤- خطأ المُخالف لا يُبيح ظُلمه، ولا يهدر حقوقه:

يقول ابن تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ومعلوم أنّ شرّ الكفّار والمُرتدِّين والخوارج أعظم مِن شرّ الظالم، وأمّا إذا لم يكونوا -أي: المُبتدعون أو غيرهم- يظلمون المسلمين، والمقاتل لهم يريد أنْ يظلمهم، فهذا عُدوان منه، فلا يُعان علىٰ العدوان».

□ مِن صُور عدم الإنصاف بين الأقران (خاصّة):

١- التفتيش عن العيوب: وتلمُّس الزلّات والهفوات؛ فيجرح بالخطأ، ويُتبع العالم بالزّلة، ولا تُغفر له هفوة. وهذا منهج مُرْدٍ.

مَــن الّذي مــا ساء قَطّ مَن الّذي له الحُسنىٰ فقط

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنّ رسول الله ﷺ نَهَىٰ أنْ يطرق الرجل أهله ليلًا؛ يتخوَّنهم، أو يلتمس عثراتهم».

٢- التعيير بالنقص، والسكوت عن المزيَّة.

٣- القول بالهوىٰ والعصبية: يقول الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، ولا سيَّما إذا لاح لك أنّه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد».

٤- الافتراء والبهتان بسبب الحسد؛ قال الإمام أحمد ابن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- لأتباعه: «اعلموا -رحمكم الله- أنّ الرجل مِن أهل العِلم إذا منحه الله شيئًا مِن العِلم وحرمه قُرناءه وأشكاله؛ حسدوه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العِلم».

٥- بُغض القَرين، وبُغض مَن يُثني عليه؛ يقول الغزالي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في أمثال هؤلاء: «ويزعم أنّ غرضه إصلاح الخلق، ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه، وصلحوا علىٰ يديه؛ لمات غمًّا وحسدًا، ولو أثنىٰ أحد مِن المُتردِّدين إليه علىٰ بعض أقرانه، لكان أبغض خلق الله إليه».

٦- التهوين مِن عِلم القَرِين؛ يقول يحيىٰ بن يحيىٰ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «كنتُ آتي ابن القاسم -رَحِمَهُ اللَّهُ-؛ فيقول لي: مِن أين جئت؟ فأقول: مِن عند ابن وهب، فيقول: الله،

الله، اتَّقِ الله! فإنّ أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل.

قال: فآتي ابن وهب؛ فيقول: مِن أين؟ فأقول: مِن عند ابن القاسم؛ فيقول: اتَّقِ الله! فإنّ أكثر هذه المسائل رأي...».

□ نُدرة الإنصاف:

وقد كان الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- يشكو مِن أهل زمانه قائلًا: «ما في زمانِنا شيءٌ أقلّ مِن الإنصافِ».

٤- الوسطية وعدم الغلو:

والمقصود **بالوسطية**: الاعتدال.

قال اللهُ -تعالىٰ-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]؛ أي: عَدلًا، خيارًا، ومِن لوازم وسطيّتهم عدالتهم، ولِذا صحّ أنْ يكُونوا شُهداء علىٰ النّاس يوم القيامة؛ لأنّ الشاهد لا بُدّ أنْ يكون عَدْلًا حتّىٰ تُقبل شهادته، ووسطيّة هذه الأُمّة كونها علىٰ الحقّ بين باطل مَن غَلَا، وباطل مَن جَفَا، وما عدا الوسط؛ فأطراف داخلة تحت الخطر.

والمقصود بالغلو: «مجاوزة الحد في التعبُّد والعمل والثناء؛ قدحًا أو مدحًا».

قال اللهُ-تعالىٰ-:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

ينهىٰ الله-تعالىٰ- أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع، إلىٰ ما ليس بمشروع؛ فكما أنّ التقصير والتفريط من المنهيات فالغلو كذلك.

أصول الدعوة السلفية

١- الرجوع إلىٰ الكتاب الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة:

وفهمهما علىٰ النهج الذي كان عليه السلف الصالح -رضوان الله عليهم-؛ قال-تعالىٰ-:﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنِّي قد تركتُ فيكُم ما إنْ اعتصمتُم به؛ فلَن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه**».

وعن بكير بن عبد الله الأشج؛ قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إنّ ناسًا يجادلونكم بشُبَه القُرآن، فخُذوهم بالسُّنن؛ فإنّ أصحاب السُّنن أعلم بكتاب الله -عزَّ وجلّ-».

٢- الدعوة إلىٰ التوحيد وإخلاص العمل لله - وحدَه -:

والسلفيُّون عندما يُنادُون بوُجوب الدعوة إلىٰ التوحيد؛ لا يقصدون أنّهم يُنادون بالدعوة إليه مجرَّدًا، بل لا بُدّ أنْ يتعرَّضوا إلىٰ شيءٍ مِن مُقتضياته ولوازمه المُتنوِّعة.

والأخذ بالأولويَّات لا يعني أخذ الأَوْلَىٰ وتَرْك ما سواه، أو أخذ الأهم وترك المهم؛ فالإسلام دين شامل، قائم علىٰ الأركان والواجبات والسُّنن والمستحبَّات.

فعلىٰ الدعاة أنْ تكون انطلاقتهم مِن التَّوحيد، فكل دعوة لا تقوم علىٰ هذا الأساس -في أيّ زمان وأيّ مكان-؛ فإنّها دعوة قاصرة ناقصة، ويُخشىٰ أنْ يكون

نصيبها إمّا الفشل، وإمّا الانحراف عن الصراط المُستقيم، أو هُما معًا؛ لأنّ هذا أصل عظيم مِن أُصول الدِّين، متىٰ غفلت عنه الأمم، وَقَعَت في كارثة الشرك والابتداع».

٣- تحذير الناس مِن الشرك علىٰ اختلاف مظاهره:

أولًا: تعريف الشرك:

الشرك -في اللغة-: الشريك جمعه شركاء، والمشترك خلط المُلكين، وقيل: ما كان لك ولغيرك فيه حصة أو نصيب، يُقال: شركته وشاركته واشتركوا، نحو قول مُوسىٰ عن هارون في قوله -تعالىٰ-: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[طه:٣٢].

الشرك -شرعًا-: أنْ تجعلَ لله شَريكًا، أو أن تجعل لله ندًّا سواءً استقلالًا أو تصرُّفًا؛ كقوله-تعالىٰ-:﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء:١١١]،وقوله -تعالىٰ-: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾[النحل:٢٧].

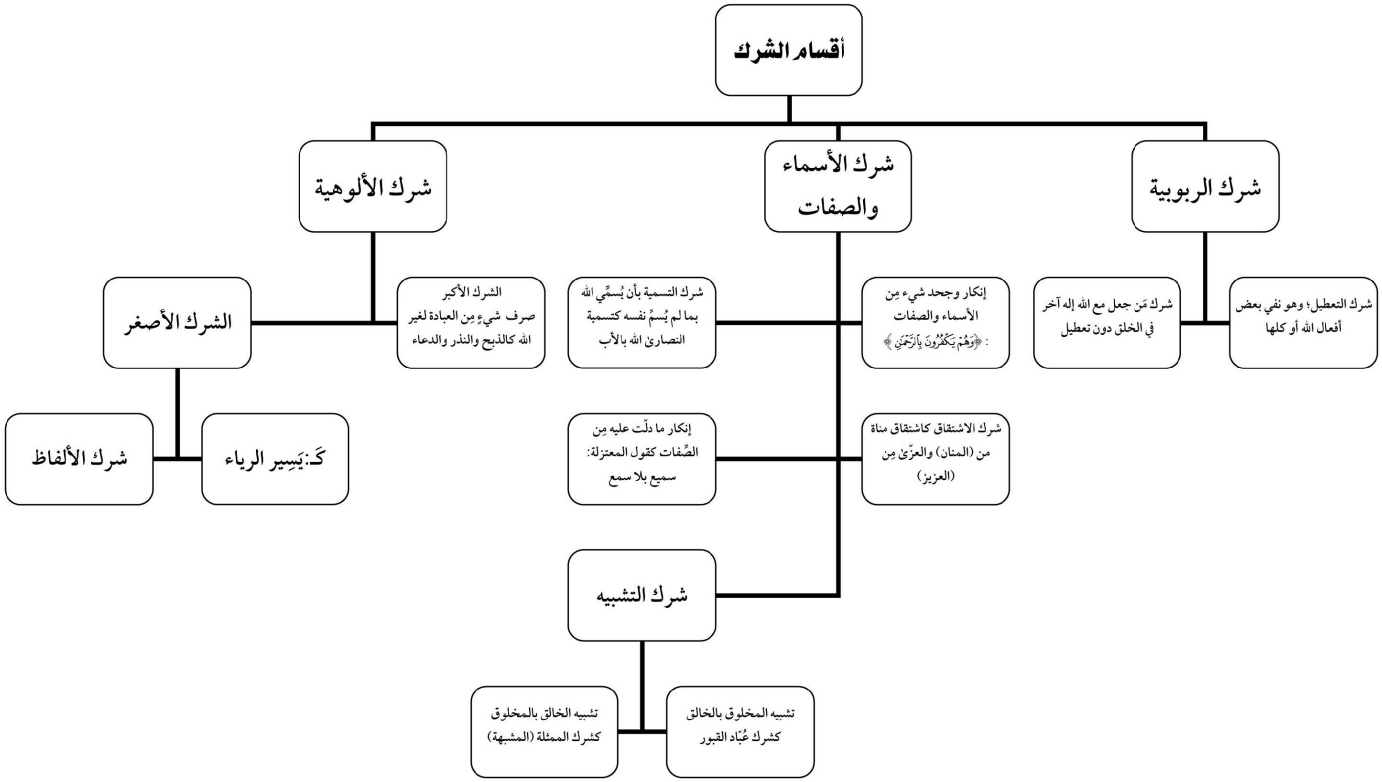
أقسام الشرك
شرك الربوبية
شرك التعطيل؛ وهو نفي بعض أفعال الله أو كلها
شرك مَن جعل مع الله إله آخر في الخلق دون تعطيل
شرك الأسماء والصفات
إنكار وجحد شيء مِن الأسماء والصفات : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾
شرك التسمية بأن يُسمِّي الله بما لم يُسمِّ نفسه كتسمية النصارى الله بالأب
شرك الاشتقاق كاشتقاق مناة من (المنان) والعزّى مِن (العزيز)
إنكار ما دلّت عليه مِن الصِّفات كقول المعتزلة: سميع بلا سمع
شرك التشبيه
تشبيه المخلوق بالخالق كشرك عُبّاد القبور
تشبيه الخالق بالمخلوق كشرك الممثلة (المشبهة)
شرك الألوهية
الشرك الأكبر صرف شيءٍ مِن العبادة لغير الله كالذبح والنذر والدعاء
الشرك الأصغر
كَـ:يَسِير الرياء
شرك الألفاظ

٤- الدعوة إلىٰ الاتِّباع، ونَبْذ التقليد:

الاتِّباع -في اللغة-: مصدر اتبع الشيء وتبعه؛ إذا سافر في أثره. كما قال -تعالىٰ- عن موسىٰ مع الخضر عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:٦٦].

الاتِّباع -شرعًا-: هو -كما عرّفه الإمام أحمد رحمه الله-: «أنْ يَتَّبِعَ الرَّجُل ما جاء عن النبيِّ ﷺ وعن أصحابه، ثُمّ هو مِن بعد في التابعين مُخَيَّر».

فاتِّباع النبي ﷺ يكون في القول، ويكون في الفعل، ويكون في التَّرك.

❐ مظاهر الاتِّباع:

أوَّلًا: الاقتداء بالنبيِّ ﷺ، والتَّأسِّي به في الاعتقادات والأعمال ظاهرًا وباطنًا:

قال -تعالىٰ-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١].

ثانيًا: تحكيم السُّنَّة، والتَّحاكُم إليها:

قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

ثالثًا: الرِّضىٰ بحُكم رسول الله ﷺ وشَرعِه:

فعن العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طَعْمَ الإيمان: مَن رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا**».

□ التقليد:

التقليد -لغةً-: «هو جعل القِلادة في العُنق».

التقليد -اصطلاحًا-: «هو أخذ قول الغير، مِن غير معرفة الدليل».

نشأة التقليد: وقد حدَث التقليد في القرن الرابع الهجري.

□ ذمّ التقليد:

١- قال الإمام أبو حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا؛ ما لم يعلم مِن أين أخذناه».

وقال: «إذا صحّ الحديثُ؛ فهو مذهبي».

٢- وقال الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إنَّما أنا بشر، أُخطئ وأُصيب، فانظُروا في رأيي، فكلّ ما وافق الكتاب والسُّنة؛ فخُذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسُّنة؛ فاتركوه».

٣- وقال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ما مِن أحد إلّا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ، ويعزب عنه فهمها، فمهما قلت مِن قول أو أصَّلت مِن أصل، وفيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت؛ فالقول ما قاله رسول الله ﷺ، وهو مِن قولِي، ثُمّ جَعَل يُردِّد هذا الكلام».

وقال -أيضًا-: «كل ما قُلت؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي ممّا يصح، فحديث النبي ﷺ أَوْلَىٰ، فلا تُقلِّدُوني».

٤- وقال الإمام أحمد ابن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا تُقلِّدني، ولا تُقلِّد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري؛ وخُذ مِن حيث أخذوا».

□ حُكم التقليد:

التقليد جائز في الجُملة للعامَّة الّذين لا قُدرة لهم علىٰ النَّظر في الأدلَّة، واستنباط الأحكام، قال ابنُ عبد البَرّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ولَم يختلف العُلماء أنّ العامَّة عليهم تقليد علمائهم، وأنّهم المرادون بقول الله -عز وجل-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

وقال ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «والذي عليه جماهير الأمة: أنّ الاجتهاد جائز في الجُملة، والتقليد جائز في الجُملة، ولا يُوجبون الاجتهاد علىٰ كل أحد، ويُحرِّمون التقليد، ولا يُوجبون التقليد علىٰ كل أحد، ويحرمون الاجتهاد».

□ شروط التقليد الجائز:

١- أنْ يكون المقلد عاميًّا، جاهلًا، عاجزًا، لا يستطيع معرفة حُكم الله ورسوله ﷺ بنفسه، ففرضه التقليد لقوله -تعالىٰ-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقلد أفضل مَن يجده علمًا وورعًا، فإنْ تساوىٰ عنده اثنان خُيِّر بينهما.

٢- أنْ يُقلِّد مَن عُرِف بالعِلم والاجتهاد مِن أهل الدِّين والصَّلاح.

٣- ألّا يتبيَّن للمُقلِّد الحقّ، بأنْ يكون قول غير مقلّده أرجح.

٤- ألّا يكون في التقليد مُخالفة واضحة للنصوص الشرعيّة، أو لإجماع الأُمّة.

٥- ألّا يلتزم المقلّد مذهبًا بعينه في كل المسائل، بل عليه تحرِّي الحقّ، ويتّبع الأقرب للصواب، وليس معنىٰ هذا أنْ ينتقل بين المذاهب؛ تَبَعًا للرخص، وبحثًا عن الأسهل.

٦- أنْ يَقَعَ للمُجتهد حادثة تقتضي الفوريَّة، ولا يتمكَّن مِن النَّظر فيها؛ فيجوز له التقليد -حينئذٍ-.

□ هل يلزم العامِّي التمذهب؟

قال ابنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا يلزمه، وهو الصَّواب المقطوع به؛ إذ لا واجب إلّا ما أوجبه الله ورسوله، ولَم يُوجب الله ورسوله علىٰ أحد مِن النّاس أنْ يتمذهب بمذهب رجل مِن الأئمة، فيقلده دينه دُون غيره».

إنّ عدم الالتزام بمذهب معيّن هو الأصل، إلّا أنّ هُناك استثناء؛ وهو:

١- إذا لَم يستطع العبد أنْ يتعلَّم دينه إلّا بالتِزام مذهب معيَّن.

٢- إذا ترتَّب علىٰ التزامِه بمذهب معيّن دَفْع فساد عظيم لا يتحقَّق دفعه إلّا بذلك.

□ الفرق بين الاتِّباع والتقليد:

إنّ المُتّبع في الدرجة بين العالِم المجتهد، والعامِّي المُقلِّد.

٥- نبذ البدع ، والأفكار الدخيلة:

□ البدعة -لُغةً-:

أصل مادّة (بدع) للاختراع علىٰ غير مثال سابق؛ ومنهُ: قوله -تعالىٰ-: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧]، وقوله -تعالىٰ-: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩].

ويُقال: ابتدع فُلان بدعةً؛ يعني: ابتدأ طريقة لَم يسبقه إليها سابق، وهذا أمرٌ بديع: يُقال في الشيء المُستحسَن، الّذي لا مِثال له في الحُسن، ومِن هذا المعنىٰ سمِّيَت البِدعة بدعة.

❐ البدعة -اصطلاحًا-:

«طريقة في الدِّين مُخترعة، تُضاهي الشرعية، يُقصد بالسُّلوك عليها المُبالَغة في التعبُّد لله -سُبحانه-».

❐ البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية:

البدعة الحقيقية: هي التي لَمْ يَدُلَّ عليها دليلٌ شرعيٌّ، لا مِن كتابٍ، ولا سُنَّةٍ، ولا إجماعٍ، ولا استدلالٍ مُعتبَرٍ عند أهل العِلم، لا في الجُملة، ولا في التفصيل، ولذلك سُمِّيَتْ بِدعة؛ لأنّها شيءٌ مُخترَعٌ على غيرِ مِثالٍ سابق.

ومِن أمثلة ذلك:

١- الرَّهبنة بترك الزواج.

٢- الوقوف في الشَّمس تعبُّدًا.

البدعة الإضافية: هي الّتي لها **نائبتان**:

إحداهما: لها مِن الأدلَّة مُتعلّقٌ، فلا تكون مِن تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها مُتعلّق إلّا مِثل ما للبدعة الحقيقية.

أي: أنّها بالنسبة إلى إحدى الجهتين يُظَنُّ أنَّها سُنَّة؛ لأنّها مُستنِدة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة؛ لأنّها مُستنِدة إلى شُبهة لا إلى دليل، أو غير مستندة إلى شيء.

مثالها:

١- إفراد الجُمعة بصيام، أو ليلها بقيام.

٢- تخصيص شهر رجب بعُمرة.

٣- الذِّكر الجماعي.

وغيرها.

والفرق بَيْنَهما مِن جهة المعنىٰ: أنّ الدليل علىٰ البدعة الإضافية مِن جهة الأصل قائم، ومِن جهة الكيفيَّات أو الأحوال أو التفاصيل لَم يقم عليها، فوقعَتْ علىٰ هيئة لَم يَرِد بها الشَّرع.

□ التحذير مِن البِدع:

أولًا: مِن القُرآن الكريم:

قال -تعالىٰ-: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[الحديد:٢٧].

وقال -تعالىٰ-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

قال ابنُ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية: «أخبر الله -تعالىٰ- نبيّه ﷺ والمؤمنين أنّه أكمل لهم الإيمان؛ فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبدًا، وقد أتمّه الله؛ فلا يُنقصه أبدًا، وقد رضيه؛ فلا يسخطه أبدًا».

فالمبتدع يرىٰ أنّ الدِّين لَم يكمل، أو أنّ محمدًا ﷺ خان الرسالة. قال الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «مَن ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أنّ محمدًا خان الرسالة؛ لأنّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣]؛ فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا».

ثانيًا: مِن السُّنَّة:

١- المبتدع حقّت عليه اللَّعنة مِن رسول الله ﷺ الّذي قال: «المدينة حَرَم مِن كذا إلىٰ كذا، لا يُقطع شجرها، ولا يُحدث فيها حدث، ومَن أحدثَ حدثًا؛ فعليه لعنةُ الله، والملائكة، والنّاس أجمعين».

٢- أنّ عمله مردود عليه؛ قال رسول الله ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه؛ فهو رَدٌّ**».

٣- أنّ صاحب البدعة في النّار؛ قال رسول الله ﷺ: «**وكُلّ مُحدثة بِدعة، وكُلّ بدعة في النَّار**».

٤- أنّ المُبتدِع عليه إثم مَن اتَّبعه؛ قال رسول الله ﷺ: «**ومَن دَعَا إلىٰ ضلالة؛ كان عليه مِن الإثم مِثل آثام مَن اتَّبَعه، لا يَنقص ذلك مِن آثامِهم شيئًا**».

ثالثًا: مِن أقوال الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

* عن مُعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه كان بالشّام؛ فقال: «أيّها النّاس! عليكُم بالعِلم قَبْلَ أنْ يُرفع،أَلَا وإنَّ رَفْعَه ذهابُ أهلِه، وإيَّاكُم والبِدَع والتبدُّع والتنطُّع! وعليكُم بأَمْرِكُم العتِيق».

* وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما ابتُدعت بدعة إلّا ازدادت مضيًا، ولا نزعت سُنَّة إلّا زادَت هربًا».

* وقال رجل لابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَوصِنِي؛ قال: «عليكَ بتقوىٰ الله والاستقامة، اتَّبِع ولا تَبتدع».

* وقال ابنُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُلّ بدعة ضلالة، ولو رآها النّاس حسنة».

◻ التعريف بأهل الأهواء والبدع:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «والبدعة الّتي يُعدّ بها الرَّجل مِن أهل الأهواء: ما اشتهر عند أهل العِلم بالسُّنَّة مُخالفتها للكتاب والسُّنة؛ كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة».

◻ متىٰ يُبدَّع الرَّجُل؟

لا يُبدَّع أحدٌ مِن أهل السُّنَّة، أو يُحكَم بخرُوجه مِن دائرة أهل السُّنَّة بمُجرَّد خطئه في الاجتهاد:

◻ قال محدِّث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

«**المُبتدع**: هو أوَّلًا الّذي يَحدُث مِن عادته الابتداع في الدِّين، وليس الّذي يَبتدع بدعةً، ولو كان هو فعلًا ليس عن اجتهاد، وإنَّما عن هوىٰ، مع هذا لا يُسمَّىٰ مبتدعًا.

وأوضِّحُ مِثالًا لتقريب هذا المثال: أنّ الحاكم الظالم قد يَعدل في بعض أحكامه؛ فلا يُقال فيه عادل، كما أنّ العادل قد يظلم في بعض أحكامه؛ فلا يُقال فيه ظالم، وهذا يؤكد القاعدة الإسلامية الفقهية:

أنّ الإنسان بما يغلب عليه مِن خير أو شر، فإذا عرفنا هذه الحقيقة؛ عرفنا مَن

هو المُبتدِع».

وقال أيضًا: «فيشترط -إذن- في المبتدع شرطان:

الشرط الأول: أنْ لا يكونَ مُجتهدًا، وإنّما يكون مُتّبعًا للهوىٰ.

الشرط الثاني: أنْ يكون ذلك مِن عادتِه، ومِن دَيْدَنِه».

◻ مِن علامات أهل الأهواء، والبدع، وصفاتهم:

١- الفُرقة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة مُؤكِّدًا أنّ شعار فِرق أهل البِدع هو التفرُّق: «ولهذا وُصِفَت الفِرقة الناجية بأنّها أهل السُّنّة والجماعة، وهُم الجُمهور الأكبر، والسَّواد الأعظم، وأمّا الفِرق الباقية؛ فإنّهم أهل الشذوذ والتفرُّق والبِدع والأهواء، ولا تَبلغ الفِرقة مِن هؤلاء منها في غاية القلة، وشعار هذه الفِرق مُفارقة الكتاب والسُّنّة والإجماع».

٢- اتِّباع الهوَىٰ:

وهي أبرز صفاتهم؛ ولهذا أُطلِق عليهم: أهل الأهواء والبِدع؛ قال -تعالىٰ- في وَصْفِهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[الجاثية:٢٣].

قال ابنُ كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أي: إنّما يأتمِرُ بهواه، مهما رآهُ حسنًا فَعَلَه، ومهما رآه قبيحًا تَرَكَه، وهذا قد يُستدلّ به علىٰ المُعتزلة في قولِهم بالتحسين والتقبيح العقليَّين».

٣- اتِّباع المتشابه:

وروىٰ البخاري -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها قالَت: تلَا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]؛ قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت الّذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الّذين سمَّىٰ الله؛ فاحذروهم**».

٤- معارضة السُّنَّة بالقُرآن:

قال الإمام البربهاري -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إذا سمعتَ الرَّجل يطعن علىٰ الآثار، أو يرد الآثار، أو يُريد غير الآثار؛ فاتَّهِمه علىٰ الإسلام، ولا تشكّ أنّه صاحب هوىٰ مُبتدِع».

٥- بغض أهل الأثر:

ومِن علامات أهل البدع بغض أهل الحديث والأثر، والوقيعة فيهم: فعن أحمد بن سنان القطّان -رَحِمَهُ اللَّهُ- أنّه قال: «ليس في الدُّنيا مُبتدع إلّا هو يبغض أهل الحديث».

٦- إطلاق الألقاب علىٰ أهل السُّنّة:

ومِن علامات أهل البِدع الّتي نصَّ عليها العُلماء: إطلاق الألقاب علىٰ أهل

السُّنة بقصد انتقاصِهم.

قال أبو حاتم الرازي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «علامةُ الجهميّة: تَسميتُهم أهل السُّنَّة مُشبِّهة، وعلامة القدريَّة: تسميتُهم أهل الأثر مُجْبِرَة، وعلامة المُرجِئة: تسميتُهم أهل السُّنَّة مُخالفة ونقصانيَّة.

وعلامة الرافضة: تسميتُهم أهل السُّنة ناصبة، ولا يلحق أهل السُّنَّة إلّا اسم واحد، ويستحيل أنْ تجتمعهم هذه الأسماء».

٧- ترك انتحال مذهب السَّلف:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فالمقصود أنّ المشهورِين مِن الطّوائف -بين أهل السُّنة والجماعة- العامّة بالبدعة ليسُوا مُنتحلين للسَّلف، بل أشهر الطوائف بالبدعة الرافضة، حتّىٰ إنّ العامّة لا تعرف مِن شعائر البدع إلّا الرَّفض، والسُّني في اصطلاحهم مَن لا يكون رافضيًّا... فعُلِمَ أنّ شعار أهل البدع هو ترك انتحال مذهب السَّلف، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: «**أصول السُّنة** -عندنا-: التمسُّك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ».

٨- تكفير مخالِفِيهم بغير دليل:

قال شيخُ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ- في أكثر مِن موضع مِن كُتُبه في الرّد علىٰ مَن قال بتكفير المتأوِّلين: «وهذا القول لا يُعرف عن أحدٍ مِن الصَّحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أحد مِن أئمّة المُسلمِين، وإنّما هو في الأصل مِن أقوال أهل البدع،

الّذين يبتدعون بدعة، ويُكفِّرون مَن خالفَهم؛ كالخوارج والمُعتزلة والجهميَّة».

وقال -أيضًا-: «والخوارج تُكفِّر أهل السُّنة والجماعة، وكذلك المُعتزلة يُكفِّرون مَن خالفهم، وكذلك الرافضة، ومَن لم يُكفِّر فَسق.

وكذلك أكثر أهل الأهواء يَبتدعون رأيًا ويُكفِّرُون مَن خالفَهُم فيه.

وأهل السُّنة يَتَّبعون الحقّ مِن ربِّهم الّذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يُكفِّرون مَن خالفَهم فيه، بل هُم أعلم بالحقّ، وأرحم بالخلق».

◻ حُكم هجر أهل البِدع:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ- بَعْدَ أَنْ ذَكَر قصَّة هجر النبي ﷺ لِكعب وصاحبَيْه وأمر المُسلمين بهجرِهم، وأمرَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المُسلمين بِهَجر صبيغ: «فلهذا ونحوه؛ رأىٰ المُسلمون أنْ يهجُروا مَن ظَهَرَت عليه علامات الزَّيغ، مِن المُظهِرِين للبدع، الداعِين إليها، والمُظهِرِين للكبائر، فأمّا مَن كان مُستتِرًا بمعصية أو مُسِرًّا لِبدعة غير مُكفّرة؛ فإنّ هذا لا يُهجر، وإنّما يُهجر الدّاعي إلىٰ البِدعة؛ إذ الهَجر نَوعٌ مِن العُقوبة، وإنّما يُعاقَب مَن أظهر المعصية قَولًا أو عَملًا».

فصل

الغلو في مسألة الهجر والتبديع

وهذه المسألة -مع الأسف- قد انتشرَت، وإليك كلام علماء السَّلف في القديم والحديث حول هذه المسألة:

□ أقوال أئمّة السَّلف المُتقدِّمين:

١- قال **الإمام ابنُ القيِّم** -رَحِمَهُ اللَّهُ- بعد مُناقشة أبي إسماعيل الهروي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في بعض مسائل التوبة:

«ولا تُوجب هذه الزّلّة مِن شيخ الإسلام إهدار محاسنه، وإساءة الظن به، فمحله مِن العلم والأمانة والمعرفة والتقدُّم في طريق السلوك المحل الذي لا يُجهل، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلّا المعصوم -صلوات الله وسلامه عليه-، والكامل مَن عُدّ خَطؤُه».

٢- وقال الإمام الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

«ولو أنّا كُلّما أخطأ إمام في اجتهادِه في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له، قُمنا عليه، وبدّعناه، وهجرناه؛ لَمَا سَلِمَ مَعنا لا ابنُ نَصر، ولا ابنُ مندة، ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله مِن الهوىٰ والفظاظة».

٣- قال ابنُ أبي العِزّ الحنفي -رَحِمَهُ اللَّهُ- شارح «الطحاوية»-:

«وهذا أمرٌ مُتيقّن به في طوائف كثيرة، وأئمّة في العِلم والدِّين، وفيهم بعض مقالات الجهميّة، أو المُرجئة، أو القدرية، أو الشيعة، أو الخوارج، ولكن الأئمّة في العِلم والدِّين لا يَكونون قائمين بجُملة تلك البدعة، بل بفرع مِن فروعها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف مِن السَّلف المشاهير».

فمِن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا، ومِن مَمادِح أهل العِلم أنّهم يُخَطِّئون ولا يُكفِّرون.

فصل
التصفية والتربية

المقصود بالتصفية؛ هي: تنقية الإسلام مِن كُلّ ما دخله مِن شوائب.

المقصود بالتربية؛ هي: تنشئة الجيل الناشئ علىٰ هذا الإسلام، وخاصَّة العقيدة الإسلامية الصَّحيحة المُستمدَّة مِن الكتاب والسُّنة، ولقد قال ربُّنا -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران: ٧٩].

والرَّبّانِي؛ هو: «الّذي يُربِّي النّاس بمنهج الله، ويتدرَّج بهم حتّىٰ يصل بهم إلىٰ المستوىٰ الرفيع الّذي يُريده الله».

ولقد فسَّر بعضُ أهل العِلم الآية الكريمة بقولِهم: «هُم الّذين يُربُّون النّاس بصغار العِلم قبل كباره»؛ أي: تربية الناس علىٰ العِلم الصحيح المُصفَّىٰ -الذِي ليس فيه غَبَش أو دخن- بدقيق المسائل قبل جليلها.

□ مجالات التصفية:

مجالات التصفية كثيرة، فهي تتناول جميع العُلوم، ومنها -علىٰ سبيل المثال لا الحصر-:

أوّلًا: تصفية العقيدة:

وهي الّتي وصلتنا مِن طريق الوحيَين الشريفَين نقيّة من الخرافة؛ خالصةً مِن

الشوائب، بعيدة عن أباطيل الشِّرك، سالمة مِن هُوّة التأويل.

ولكِنْ لمّا ابتعدَ النّاس عن سُلوك سبيل نهج أهل الحديث في فَهم الكتاب والسُّنة؛ وقعوا -دُونما وَعي- في الشِّرك وأوحاله، وتحريف الصِّفات الإلهيّة، وتأويلها، وصرفها عن حقيقتها اللُّغوية اللّائقة بذات الله -سبحانه وتعالىٰ-.

وأصبحت مُنكرات الأفكار العقائدية -عند أهل الحديث والسُّنة- مُسلَّمات بدهيّات عند مُتأخِّري الخَلَف.

ثانيًا: تصفية السُّنة:

وهي مِن أوسع المجالات الّتي تحتاج إلىٰ تصفية، ولا يَخفىٰ ما لِانْتِشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أوساط الناس مِن أثر سيِّئ.

ثالثًا: تصفية التفسير:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وهذه الكُتُب الّتي يُسمِّيها كثيرٌ مِن النّاس كُتُب التَّفسير فيها كثيرٌ مِن التفسير منقولات عن السَّلف مكذوبة عليهم، وقول علىٰ الله ورسوله ﷺ بالرَّأي المُجرّد، بل بمجرّد شُبهة قياسية أو شُبهة أدبيَّة، ومعلوم أنّ في كُتُب التفسير مِن النَّقل عن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن الكذب الشَّيء الكثير... فلا بُدّ مِن تصحيح النَّقل لتقوم الحُجَّة... ».

رابعًا: تصفية الفقه:

إنّ الفِقه ذخيرة ضخمة مِن ذخائر علمائنا المُسلمِين، تدلُّ علىٰ سَعة أُفُق،

وشُمول نظر، وإليك بعض هذه الأحاديث الّتي يُستدلُّ بها إمّا تعصُّبًا لمذهب أو لبدعة:

١- (ما زال رسول الله ﷺ يقنت في صلاة الغداة حتّىٰ فارق الدُّنيا).

٢- (خمسُ ليالٍ لا تُردّ فيهِنّ الدَّعوة: أوّل ليلةٍ مِن رَجَب، وليلة النِّصف مِن شَعبان، وليلة الجُمعة، وليلة الفِطر، وليلة النَّحر).

خامسًا: تصفية السِّير والتّاريخ:

وهُما يُشكِّلان جُزءًا مِمّا يُسمّىٰ في عصرنا الحاضر بالعُلوم الإنسانية.

لِذا؛ وَجَبَ له أصولٌ راسخة، وقواعد ثابتة؛ حتّىٰ لا تدخله المُفتريات، وتُخلَط به المُنكرات، وهذا للأسف الشَّديد ليس بواقع، بل هو مفقود، وإليك بعض الحوادث الّتي اشتهرت عند الناس؛ وهي لا تصحّ:

١- قصّة غار ثور:

«ليلة الغار (ثور) أَمَرَ اللهُ -عزّ وجلّ- شجرةً؛ فخرَجت في وجه النبي ﷺ تستره، وإنّ الله -عزّ وجل- بعثَ العنكبوت، فنسجت ما بينهما، فسترت وجه النبي ﷺ، وأمر الله حمامتَيْن وحشيَّتَين، فأقبلتَا تدفّان (وفي نسخة: ترفّان)، حتّىٰ وقعنا بَيْن العنكبوت وبَيْن الشَّجرة».

٢- عام الحُزن:

«أنّ النبي ﷺ أطلق علىٰ هذا العام (عام وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، وعمّه أبي طالب) اسم: (عام الحزن) لشدّة ما كابد فيه مِن الشَّدائد في سبيل الدَّعوة».

٣- مُحاولة انتحار النبي ﷺ (وحاشاه):

«... حتّىٰ حَزن النبي ﷺ -فيما بلغنا- حُزنًا غَدَا منه مرارًا كَي يتردَّىٰ مِن رُؤوس شواهق الجبال، فكُلّما أَوْفَىٰ بذروة جَبَل لكَي يُلقِي منه نفسه، تبدَّىٰ له جبريل؛ فقال: يا محمد! إنّك رسول الله حقًّا»؛ فيسكن ذلك جأشه وتقرّ نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي؛ غدا لمِثل ذلك، فإذا أَوْفَىٰ بذروة جبل تبدّىٰ له جبريل؛ فقال له مِثل هذا».

سادسًا: تصفية الأخلاق والسُّلوك والتزكية:

وهي إحدىٰ المهمّات الّتي مِن أجلِها بُعِث الرسول ﷺ، بل هي غاية الرِّسالات وثمرتها؛ فقد قال -تعالىٰ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢].

وقد دخل منهاج إصلاح النفس الّذي اندرجَ تحت اسم (التصوُّف)، فجمع في طيَّاتِه بلاء، لا حصر له ولا حدّ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
بيان معنى منهج السلف	٧
◘ **أوّلًا**: تعريف المنهج وبيان أهميّته	٧
◘ أهميَّة المنهج	٧
◘ **ثانيًا**: تعريف السَّلَف	٧
◘ **ثالثًا**: نشأة مذهب السَّلَف	٨
◘ **رابعًا**: ما السَّلفيَّة؟	٩
◘ **خامسًا**: مَن السَّلَفِيّ؟	٩
◘ مُستلزَمات الانتِساب إلىٰ السَّلَف	٩
وُجوب اتِّباع منهج السَّلَف	١٠
◘ **أوَّلًا**: الأدلّة مِن القُرآن	١٠
◘ **ثانيًا**: الأدلّة مِن السُّنَّة	١١
◘ **ثالثًا**: الأدلّة مِن أقوال السَّلَف	١١
أسماء السَّلَف وألقابهم	١٢
أهل السُّنّة والجماعة	١٢
◘ إطلاقات مُصطَلح أهل السُّنَّة	١٢
أهل الحديث	١٣
السّواد الأعظم	١٣
الفرقة الناجية	١٤

الموضـــــــوع **الصفحة**

الطائفة المنصورة ١٤
صفات الطائفة المنصورة ١٥
□ **الصِّفة الأُولىٰ**: الاستمراريَّة ١٥
□ **الصِّفة الثّانية**: الاجتماع علىٰ التَّوحيد والمنهاج، والمُفارقة عليهِما ١٥
□ **الصِّفة الثالثة**: الشمولية الدعوية ١٦
الغُرباء ١٧
□ أهمِّيَّة الثَّبات علىٰ المنهج ١٧
□ أسباب الثَّبات علىٰ المنهج ١٨
أوَّلًا: العِلم بالمنهج ١٨
ثانيًا: الاستجابة لأمر الله بلزوم المنهج ١٨
ثالثًا: الحذر مِن العُدُول عن المنهج ١٩
رابعًا: الأخذ بالوسطيَّة والاعتدال ١٩
خامسًا: عَدَم الوَحشة بقلَّة السّالكِين علىٰ المنهج ١٩
سادسًا: رَبْط المُسلِم بِسَلَفِهِ الصَّالح، وبالعُلماء الرَّبَّانِيِّين ٢٠
أهمّ أصُول منهج السَّلَف في العَقيدة ٢١
١ - حَصْرُهم مصدر التَّلَقِّي في باب الاعتِقاد علىٰ: الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع السَّلَف ... ٢١
□ **فالمصدر الأوّل للتلقِّي**: القُرآن ٢١
□ **المصدر الثاني للتلقِّي**: السُّنَّة ٢١
□ **المصدر الثالث للتلقِّي**: الإجماع ٢٢
٢ - احتجاج السَّلَف بالسُّنَّة الصَّحيحة مُطْلَقًا: ٢٣

الموضـــــــوع **الصفحة**

٣- فَهْم النُّصوص علىٰ ضوء أقوال السَّلَف ٢٤
□ الفَهْم -في اللُّغة- ٢٤
□ الفَهْم في الاصطِلاح ٢٤
أوّلًا: دلالة القُرآن الكريم ٢٤
ثانيًا: دلالة السُّنَّة النبويَّة ٢٥
ثالثًا: دلالة الإجماع وأقوال العُلماء ٢٥
أ- الإجماع ٢٥
ب- أقوال سَلَف هذه الأُمَّة وعُلمائها ٢٥
□ **رابعًا**: دلالة العَقل ٢٦
□ فوائد الالتزام بفَهْم السَّلَف ٢٦
٤- التَّسليم بما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي ٢٧
□ ما العقل؟ وما منزلته في الإسلام؟ ٢٨
□ مكانة العقل ٢٨
□ منزلة العَقل في الإسلام ٢٨
□ موقف السَّلَف مِن العقل ٢٩
٥- عدم الخوض في عِلم الكلام ٣٠
□ مَن هُم أهل الكلام؟ ٣٠
□ أهمّ أُصول أهل الكلام في تلقِّي الدِّين ٣١
□ موقف أهل الكلام مِن نُصوص الكتاب والسُّنة إذا خالفَت أُصولَهم ٣١

الموضـــــــوع الصفحة

□ موقف السَّلف مِن أهل الكلام ٣٢
خصائص المنهج السلفي ٣٣
١ - السُّهولة والوُضوح ٣٣
٢ - الاتِّفاق علىٰ المنهج ٣٤
٣ - الاجتماع علىٰ الحقّ ٣٥
٤ - العدل والإنصاف ٣٦
□ البُعد عن الإنصاف يُفسد القُلوب ٣٦
□ إنصاف المُخالِف يُشيع العَدل بَيْن المُختلِفين ٣٦
□ الإنصاف بتغليب المحاسن ٣٧
□ مِن مظاهر الإنصاف ٣٨
□ مِن صُور عدم الإنصاف بين الأقران (خاصّة) ٣٩
□ نُدرة الإنصاف ٤٠
٤ - الوسطية وعدم الغلو ٤٠
أصول الدعوة السلفية ٤١
١ - الرجوع إلىٰ الكتاب الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة ٤١
٢ - الدعوة إلىٰ التوحيد وإخلاص العمل لله - وحدَه - ٤١
٣ - تحذير الناس مِن الشرك علىٰ اختلاف مظاهره ٤٢
أولًا: تعريف الشرك ٤٢
٤ - الدعوة إلىٰ الاتِّباع، ونَبْذ التقليد ٤٤

الموضـــــــوع الصفحة

□ مظاهر الاتِّباع ٤٤
ثانيًا: تحكيم السُّنَّة، والتَّحاكُم إليها ٤٤
ثالثًا: الرِّضىٰ بحُكم رسول الله ﷺ وشرعه ٤٤
□ التقليد ٤٥
□ ذمّ التقليد ٤٥
□ حُكم التقليد ٤٦
□ شروط التقليد الجائز ٤٦
□ هل يلزم العامِّي التمذهب؟ ٤٧
□ الفرق بين الاتِّباع والتقليد ٤٧
٥- نبذ البدع، والأفكار الدخيلة ٤٧
□ البدعة -لُغةً- ٤٧
□ البدعة -اصطلاحًا- ٤٨
□ البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية ٤٨
□ التحذير مِن البِدع ٤٩
أولًا: مِن القُرآن الكريم ٤٩
ثانيًا: مِن السُّنَّة ٥٠
ثالثًا: مِن أقوال الصَّحابة رضي الله عنهم: ٥٠
□ التعريف بأهل الأهواء والبدع ٥١
□ متىٰ يُبدَّع الرَّجُل؟ ٥١
□ مِن علامات أهل الأهواء، والبدع، وصفاتهم ٥٢

الموضـــــــوع **الصفحة**

١ - الفُرقة ٥٢
٢ - اتِّباع الهوَىٰ ٥٢
٣ - اتِّباع المتشابه ٥٣
٤ - معارضة السُّنَّة بالقُرآن ٥٣
٥ - بغض أهل الأثر ٥٣
٦ - إطلاق الألقاب علىٰ أهل السُّنّة ٥٣
٧ - ترك انتحال مذهب السَّلف ٥٤
٨ - تكفير مخالِفِيهم بغير دليل ٥٤
❐ حُكم هجر أهل البِدع ٥٥
فصل الغلو في مسألة الهجر والتبديع ٥٥
❐ أقوال أئمّة السَّلف المُتقدِّمين ٥٦
فصل التصفية والتربية ٥٧
❐ مجالات التصفية ٥٧
أوّلًا: تصفية العقيدة ٥٧
ثانيًا: تصفية السُّنة ٥٨
ثالثًا: تصفية التفسير ٥٨
رابعًا: تصفية الفقه ٥٨
خامسًا: تصفية السِّير والتّاريخ ٥٩
سادسًا: تصفية الأخلاق والسُّلوك والتزكية ٦٠
فهرس الموضوعات ٦١